

ملف المستقبل
سرى جدا!!!

الأسرار والغموض

الزمن الآخر

128

Looloo

www.helmelarab.net

المؤسسة العربية الحديثة
توزيع وتوزيع
Tel: 011 444 4444
www.helmelarab.net

في مكان ما من أرض (مصر) ، وفي حلبة ما من حلبة المستقبل . توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية . يدور العمل فيها في هدوء تام ، وسرية مطلقة ، من أجل حماية التقدم العلمي في (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التي هي المقياس الحقيقي لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجال المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره في عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حلبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمي ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الشالدة ..

ملف المستقبل . د. نبيل فاروق

١ - عالم آخر ..

اتبعت ذلك الضوء البنفسجي الهادئ ، يقمر المهبط الأسطواني الشفاف ، الذي يحمل المقدم (نور الدين محمود) إلى الطابق الثالث تحت الأرض ، في مبنى المخابرات العلمية المصرية ، حيث مكتب القائد الأعلى ، وداخل المهبط تردد صوت آلي ، يقول :

- المقدم (نور الدين) .. من القسم الخاص .. لديك موعد عاجل مع القائد الأعلى ، بعد ثلاث دقائق وسيع ثوان .. قف ثابتاً ، وتطلع إلى الدائرة البرتقالية أمامك ، حتى يتم التحقق من شخصيتك .

شد (نور) قامته ، في وقفة عسكرية ثابتة ، وتطلع إلى تلك الدائرة البرتقالية ، التي اتبعت منها خيط أزرق رفيع ، من أشعة الليزر الدقيقة ، راح يمسح وجهه في سرعة ، قبل أن يتوقف لحظة على قرحيته ، عاد بعدها الصوت الآلي يقول :

- تم التحقق من الشخصية .. إيجابى .. القائد

الأعلى سيستقبلك خلال دقيقتين وثلاث ثوان بالضبط.
توقف المهبط في الطابق الثالث تحت الأرض ، في
تلك اللحظة بالضبط ، فغادره (نور) ، وعبر الممر
الطويل أمامه . حتى توقف أمام حجرة القائد الأعلى ..
وفي هذه المرة أيضا ، خضع لفحص أمنى سريع ،
قبل أن يفتح باب حجرة القائد الأعلى ، ويبدو هذا
الأخير داخلها ، بصحبة الدكتور (جلال) ، مدير
مركز الأبحاث العلمية ، الذي أشار إلى (نور) ،
قائلاً :

- ادخل إليها المقدم .. لدينا الكثير لتتحدث فيه
اليوم .

دلف (نور) إلى الحجرة ، وهو يقول :

- أنا رهن إشارتك يا سيدي .

أشار إليه القائد الأعلى بالجلوس ، وهو يسأله :

- هل قضيت وقتاً كافياً مع شبيهك المعكوس

يا (نور) ؟

أوما (نور) برأسه إيجابياً ، وقال :

- إلى حد ما سيدي .

مال القائد الأعلى بجسده إلى الأمام ، متسائلاً :

- وما رأيك في قصته ؟

سرت قصصيرة باردة في جسد (نور) ، وهو
يجيب في اقتضاب :

- مفزعة !

نطقها ، وعقله يقفز إلى كل ما سمعه من شبيهه ،
الراقد في المستشفى ..

إلى القصة كلها ..

قصة غزو عالم بأكمله ..

ومنذ البداية ..

والبداية كانت في عالم آخر ..

عالم شبيه بكوننا الأرض ..

في طبيعته ..

وسكانه ..

وتاريخه ..

وحاضره ..

وكم تمنى ألا يتشابه معه في مستقبله ..

ففي ذلك العالم ، حيث يوجد (نور) آخر ، وفريق

كامل للمخبرات العلمية ، بدأت سلسلة رهيبه من

الأحداث ، تمهد لغزو فضائي مخيف ..

مقاتلات فضائية مجهولة ، اقتحمت ذلك العالم ،
عبر ما يعرف باسم (طريق النجوم) ، وراحت تشيع
الدمار والهلاك بلا هوادة ..

وبلا رحمة ..

وهب (نور) ذلك العالم وفريقه ، للتصدي للغزو
الجديد ..

وتطلقوا يواجهون الغزاة ..

عبر طريق النجوم ..

وهناك ، كانت أمامهم ألف مفاجأة ، على مسافة
هائلة من الأرض ..

لقد شاهدوا أضخم سفينة فضائية ، في الكون كله ..
سفينة الغزاة ..

كانت هائلة ، عملاقة ، وكأنها موعب بأكمليه ،
يسبح في الفضاء السرمدي ، محاطاً بما يقرب من
مليون مقاتلة ..

قوة رهيبية ، تكفي للسيطرة على الكون كله ،
وليس أرضهم وحدها ..

وداخل تلك السفينة ، التقى (نور) العالم الآخر
وفريقه بإمبراطور الغزاة ..

شخص إلى عملاق ، يجلس على عرش هائل ،
ويطالبهم بالسجود أمامه ..

ولأنهم جميعاً ، مثلنا ، لا يسجدون إلا لله (عز وجل) ..
كان من المحتم أن يقع الصدام .. ويمتدح العنف ..

وهنا سقطت الضحية الأولى ، في صفوف الفريق ..
(رمزي) المسكين ، مرقه بعوض إلى ، في قلب

سفينة الغزاة ، أمام أعين زوجته ورفاقه ..

وكانت الصدمة الأولى ..

أما الصدمة الثانية ، والأخطر علقاً ، فحدثت مع
عودتهم إلى عالمهم ..

عالمهم الذي احتل الغزاة الفضائيون فيه رئيس
جمهوريتهم ، وسيطروا على كل شيء فيه تقريباً ..

عالمهم ، الذي راحت فيه (مشيرة) ضحية للغزاة ،
عندما بدأت العبثة ..

حتى الشيوخ والنساء والأطفال ، قتلهم الغزاة بلا
شفقة أو رحمة ..

وهكذا سقط عالمهم تحت احتلال جديد ، أكثر قسوة
وشراسة من الاحتلال السابق^{١٨} .

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم ٧٦

احتلال يقوده جيش من الآليين ، لا يعرف الرحمة
أو الشفقة .

وهذا ما استنتجته (نور) العالم الآخر ..
أو ما أدركه أخيراً ..

ولأنه لا توجد وسيلة واحدة لهزيمة ذلك الغزو
الآلي الرهيب ، ففرت إلى ذهن (نور) فكرة مجنونة
للعافية ..

فكرة العودة بآلة زمن إلى تاريخ سابق للغزو ..
ومحاولة منع البداية ..

وفي سبيل تحقيق خطته ، اقتحم (نور) ورفاقه
مركز الأبحاث العلمي ، سعياً وراء آلة زمن ، تم
إخفاؤها هناك بنقطة ..

ومع الاقتحام ، لقي (أكرم) مصرعه ..
وضحت (نشوى) بعمرها ، للتضمن الانتقال الزمني ..

وبقى (نور) و (سلوى) العالم الآخر ..
والأمل ..

الأمل الأخير في تغيير التاريخ ، وإنقاذ عالم كامل
من القضاء ، على يد وحوش فضائية آلية ، لا تعرف
شفقة أو رحمة ..

واتطلقت آلة الزمن ..

ولكن شيئاً ما في برنامجها أصابه الخلل ..

لذا ، فهي لم تقفز عبر الزمن فحسب ..

ولما عبر أبعاد الكون أيضاً ..

وهكذا هبطت آلة الزمن في الزمن المطلوب ..

ولكن في عالم آخر ..

عالمنا ..

ولأن كل شيء في عالمنا هو عكس الموجود في

عالمهم ، فقد انعكست الأقطاب ..

وساد الخلل ..

وهوت آلة الزمن ..

وبعضف ..

ومع الارتطام القوي ، أصيبت (سلوى) بشدة ..

ولقيت مصرعها ..

وهكذا بقي (نور) العالم الآخر وحده ..

بقي في عالم آخر ..

معتوس ..

بالنسبة إليه ..

عالم فقد فيه آخر أمل لإنقاذ كوكبه ..

وحمل إليه لحظة من المستقبل ..

مستقبل مظلم مخيف ..

مستقبل يحمل راحة واحدة ..

راحة الموت (*) ..

* * *

استوعب عقل (نور) الأمر كله ، واستعداد كل

ما سمعه من شبيهه المعكوس ، في لحظة واحدة ،

والقائد الأعلى يسأله في قلق واضح :

« وماذا عن المستقبل يا (نور) ؟ » مستقبلنا

نحن ؟

هز (نور) كتفيه ، وأجاب :

« من الواضح أن التاريخ عندما عندهم يسير على

نحو متوال .

قال الدكتور (جلال) في حزم :

« تقصد متشابه .

هز (نور) رأسه ، وقال :

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (طريق النجوم) .

المخبرة رقم ١٢٧

« بل متوالٍ فالأحداث واحدة » ، والمتحسني الزمنى

واحد ، ولكن شبيهى استخدم آلة زمن ، للعودة إلى

الماضى ، وكل ما حدث هو أن كل آلة الزمن قد أُنشئ

به إلى عالمنا ، وليس إلى عالمه .

زفر القائد الأعلى في توتر ، وهو يقول :

« إذن فأنت تتوقع لمستقبلنا نفس ما حدث فى

عالمه .

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً :

« بالطبع ، فهذا ما يحدث فى العالمين منذ الأزل ،

إذ إن النظريات العلمية تؤكد أن أى اختلاف فى نقطة

من نقاط الزمن ، يؤدى حتماً إلى اختلاف التوالى فى كل

ما بعد هذه النقطة ، حتى إن كل عالم سيختلف غنى

عن العالم الآخر تماماً ، وما دام هذا لم يحدث بعد ،

فهو يعنى أن كل شيء فى العالمين يتطابق تماماً .

قال الدكتور (جلال) :

« بالضبط .. ولدى دليل حاسم على هذا ..

سأله القائد الأعلى :

« وما هو ؟ »

أجاب الدكتور (جلال) فى حسم :

- أبحاث (طريق النجوم) ، التى يتخذت عنها ذلك
التشبيه المعكوس - تتم لدينا بالفعل ، وتحت غطاء من
السرية المطلقة ، حتى إن المقدم (نور) نفسه يجهل
كل شيء عنها .

تتمم (نور) :

- هذا صحيح .

ثم التفت إلى القائد الأعلى ، مستظرفاً :

- ولكن من الواضح أن عالمنا سيتفصلان ،
اعتباراً من هذه اللحظة .

سأله القائد الأعلى فى توتر :

- وكيف تجزم بهذا ؟

هز (نور) كتفيه ، مجيباً :

- شبيهى نجاح فى الوصول إلينا ، ونقل إلينا

لحظة من المستقبل ، مع ملف كامل ، يحوى صوراً ،

وأرقاماً ، ومعلومات ، وتسجيلات ، تمتحنها نقطة

تفوق على الغزاة هذه المرة .

سأله الدكتور (جلال) فى عصبية :

- هل تعتقد أن بإمكاننا التغلب على غزاة كهؤلاء ؟

غغم (نور) :

- علينا أن نحاول على الأقل .

هز الدكتور (جلال) رأسه ، وألقى نظرة على

القائد الأعلى ، قبل أن يغغم فى توتر بلغ ذروته :

- بناء على كل المعلومات ، التى أتى بها شبيهك ،

والذى بذل رجالنا جهداً مضنياً لاسترجاعها ، من

أسطوانة مدمجة ، تنتمى إلى عالم معكوس ، يلوح

لنى ، ولمجموعة كاملة من الخبراء ، أنه فى ظل

الإمكانات الخرافية لأولئك الغزاة ، لست أظن أنه

لدينا أمل أبها المقدم ...

وعض شفتيه ، قبل أن يضيف فى حرارة :

- أدنى أمل .

ولم يعلق أحد بحرف واحد ..

لقد كان حديثه صحيحاً ، حتى إن السكون قد خيم

على الحجرة كلها لوقت طويل ..

طويل جداً ..

« ربما يبدو هذا صحيحاً ، من الناحية الحسابية

والمنطقية ، ولكننى أصر على التمسك ، ولو بخيط

من الأمل .. »

نطق (نور) قوله هذا في حزم شديد ، وهو
يواجه أفراد فريقه في مقرهم ، فتبادل الجميع نظرة
متوترة ، ثم غمضت (نشوى) :
- أي أمل ، في ظل هذه الظروف ؟

أجابها (نور) في حزم :
- الأمل الذي دفع شبيبتي هذا إلى المجازفة بكل
شيء ممكن ، في سبيل العودة إلى الماضي ، وإتقاذ
عالمه ..

قال (أكرم) في عصبية :
- ولكن هذا الأمل ضاع هباءً يا (نور) ، لقد
ألقت به آلة الزمن إلى عالمنا نحن ، وليس إلى
عالمه ، وهذا يعني أن مصير عالمه أكثر سواداً من
لبلة بلا قمر .

ارتجفت شفقا (نشوى) ، وهي تتمتم :
- والممكن سيلقى مصرعه ، إن عاجلاً أو آجلاً ،
طبقاً لتقارير الأطباء ، التي تؤكد أن تركيبه الخلوي
لن يسمح له بالعيش طويلاً ، في عالم معكوس
بالنسبة له .

هز (نور) رأسه في أسى ، صغفناً :

- ممكن .. ربما كان هذا أيضاً هو سبب الإرهاق
الشديد ، الذي شعر به ، منذ بدأ رحلته .
ثم اتفقد حاجباه في حزم ، وهو يقول :
- ولكنه على الأقل ، نجح في الوصول إلينا .
سأله (رمزي) ، في شيء من الحذر :
- وما الذي يمكن أن يعنيه هذا ؟
رداد العقاد حاجب (نور) ، وبدأ صوته أشد
حزماً وقوة ، وهو يقول :

- ربما لا ندري بعد ما الذي يمكن أن يعنيه هذا ،
ولكنني أؤمن بالقدر ، وأؤمن أيضاً بأن الخالق (عز وجل)
يدير الكون ، بكل عوالمه ، بميزان دقيق ، لا يحدث
أي شيء فيه عبثاً ، وما دام شبيبتي الممكن قد قفز
من زمنه وعالمه ، إلى زمننا وعالمنا ، فقد حدث هذا
لحكمة ، لا يعلمها إلا الخالق (سبحانه وتعالى) ،
ومن يدري ؟ ربما جاء هذا لإتقاذ عالمنا نحن !

تتم (أكرم) :

- نعم .. من يدري ؟

تبادل جميعهم نظرة متوترة ، قبل أن تسأل
(نشوى) :

- ولكن ما الذي يمكن أن نفعله ؟!

اجاب في سرعة وحسم :

- امران : اولهما أن نقوم بدراسة كل ما حصله
إلينا شبيهي ، من وثائق ومعلومات ، وبالأذات كل
تفاصيل رحلته وفريقه ، عبر طريق التنجيم .. وكل
ما يتعلق بالغزاة ، الذين لم يلمحهم أحد أبداً .
غصم (أكرم) :

- قصته تقول : إنهم آليون عمالقة .

أشبار (نور) يسأله ، قائلاً :

- هذا مجرد استنباط ، لا يعتمد على أدلة مادية ،
أو قرآن مسموعة .. فكرة ، بناها شبيهي ، اعتماداً
على مشهد واحد ، داخل سفينة الغزاة .

تساءلت (تشوي) :

- ألا يكفي هذا ؟!

هز رأسه في قوة ، مجيباً :

- ليس بالضرورة .

ثم مال نحوهم ، مستطرداً :

- ثم إنه ليس هناك ما يدعونا إلى العجولة
والتوتر ، أو استباق الأحداث ، والفقر إلى استنتاجات

أو استنباطات سريعة .. دعونا ندرس كل شيء أولاً ،
ونفحصه ونمحصه ، ونخضعه لكل وسائل التحليل ،
على النحو الذي لم يتح لشبيهي وفريقه ، وبعدها
نضع استنتاجاتنا ، ونظرياتنا ، و ..

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف في حزم :

- ونستعد لمواجهة الغزاة .

عبارته الأخيرة جعلت الوجود يهبط عليهم بغثة ،
وجعلتهم يتبادلون نظرة مفعمة بالتوتر ، قبل أن تتمم
(سلوي) :

- من يدري ؟! ربما حالفنا الحظ ، وكان مصيرنا
أفضل من مصير أشباهنا .

قال (رمزي) ، وهو يلتقط نفساً عميقاً :

- على الأقل ، لدينا ما يكفي من الوقت .

ثم بعد يتم عبارته ، حتى ارتفع أزيز هاتف الفيديو،
وارتسم على شاشته رقم خاص ، جعل (نور) يقفز
ليضغط زر الاتصال ، قائلاً :

- إنه الدكتور (جلال) .

وبالفعل ، ظهرت صورة مدير مركز الأبحاث على
شاشة هاتف الفيديو ، وهو يقول في توتر بالغ :

- (نور) - من حسن الحظ أن وجدتمكم .

بدا عليهم القلق لأسلوبه ، وسأله (نور) :

- ماذا حدث بالضبط يا دكتور (جلال) ؟

أجاب الرجل بنفس التوتر :

- خبرنا أننا أجروا حساباتهم ، وراجعوها مرات

ومرات ، ثم توصلوا إلى نتيجة مخيفة .

سأله (نور) في قلق :

- وما هي ؟

أردد الرجل لعابه في صعوبة ، وهو بجيب :

- إنها تتعلق بموعد الغزو .

سأله (سلوى) بأنفاس مبهورة :

- هل توصلتم إليه ؟

أوما برأسه إيجاباً في شحوب ، فسأله (نور) في

سرعة :

- متى يا دكتور (جلال) ؟

أشاح الرجل بوجهه ، وكأنما يتحاشى المواجهة ،

وهو بجيب :

- بناء على كل ما حصلنا عليه ، مستبعد تلك

الأحداث ، التي أدت إلى ما أصاب العالم الآخر خلال ..

وصمت لحظة ، أردد خلالها لعابه في صعوبة ،
قبل أن يكمل :

- خلال أربعين ساعة فحسب .

وهو الجواب على رموسهم بالصاعقة ..

أو أشدّ هولاً .



٢ - أربعون ساعة ..

اصتعت عينا القائد الأعلى عن آخرهما ، قبل أن يلتقي حاجباه ، ويلوح بيده ، قائلاً بلهجة حملى قدراً هائلاً من التوتر :

- أربعين ساعة ؟ رباه ! هل تقول : إن كل ما لدينا هو أربعون ساعة ، ثم يبدأ الغزو ..
أشار الدكتور (جلال) بسبابته ، قائلاً :
- ليس الغزو ، وإنما الأحداث الأولى له .
قال القائد الأعلى فى عصبية :

- أعلم أنك تميل إلى الدقة المفروضة فى عملك وحديثك يا دكتور (جلال) ، بحكم طبيعتك العلمية ، ولكننى لست أرى الفارق فى الواقع .
أجاب الدكتور (جلال) :

- الفارق كبير ، فبعد أربعين ساعة تقريبا ، سينبثق تلك الضجيج ، الذى أتينا بأن بعضهم يسعى لاختراق فضائنا ، عبر طريق النجوم ، أما الغزو نفسه ، فسيبدأ بعد ..

قاطعه القائد الأعلى فى عصبية أكثر :

- أعلم .. أعلم .. لقد قرأت كل التفاصيل ..

ثم نهض من خلف مكتبه ، متابعاً :

- وترتعد قرأتى ، كلما تصوّرت ما نحن مقبلون عليه ..

مطّ الدكتور (جلال) شفّيته ، مغمغماً :

- هلنا هذا الرجل ..

ولوح بيده ، مستطوذاً :

- ولكن خبراءنا يبذلون قصارى جهدهم ، لفهم واستيعاب كل ما حملته إلينا تلك الشبيه المعنوس ..

قال القائد الأعلى فى حدة :

- إنهم يتحركون ببطء بالغ ..

هزّ الدكتور (جلال) رأسه فى قوة ، قائلاً :

- الأمر ليس سهلاً ، فكل ما جاء به تلك الشبيه ..

يعمل بصورة عكسية .. الآلات ، أجهزة الكمبيوتر ..

الأسطوانات المدمجة ، وحتى ذرات الموائد ..

وخبرائنا يبذلون جهداً خرافياً ، لايتكار وتنفيذ أساليب

جديدة ، لدراسة وقراءة تلك المعكوسات ، قبل أن

تتحلل ذراتها ، وتتلاشى من الوجود ..

سأله القائد الأعلى بأنفاس مبهورة :

- أهذا ممكن ؟

هز الدكتور (جلال) كتفيه ، قائلاً في توتر :

- بالطبع .. لا شيء يمكن أن يتواجد إلى الأبد ،

في عالم تسير كل قوانينه ونظمه في اتجاه يخالف

ما نشأ عليه .. حتى ذلك الشبيه المسكين ، لن يمكث

أن يحيا هنا طويلاً .. إنما لا تمثلك أية وسيلة لإعادته

إلى عالمه .. ولست أظنه حتى يسعى لهذا ، فالعودة

إلى عالمه هي قمة العذاب بالنسبة إليه ، فقد فقد

فريقه كله ، وعالمه يسيطر عليه غزاة وحشيون ،

لا أمل في أن يتركوا خلفهم أية صورة من صور

الحياة .. بل ربما يعود ليجد نفسه وحيداً ، ومسط

خواب عام شامل ، و ..

قاطعه القائد الأعلى في عصبية :

- إنما لا نستطيع إعادته على أية حال .

ثم أتردد لعبابه في صعوبة ، قبل أن يكمل :

- ومن أترقا ؟ ربما كان هذا مصيرنا أيضاً .

هز الدكتور (جلال) كتفيه مرة أخرى ، دون أن

ينبس ببنت شفة ، فتابع القائد الأعلى :

- أليس هذا ما يتوقعه الخبراء ؟

ترنّد الدكتور (جلال) لعظلة ، قبل أن يجيب ، في

لهجة حملت الكثير من الحذر :

- إنهم يحاولون أن

قاطعه القائد الأعلى ، مكرراً في عصبية صارمة :

- أليس هذا ما يتوقعونه ؟

زفر الدكتور (جلال) ، محجياً في استسلام :

- الواقع أنه لا توجد ، حتى الآن ، أية وسيلة

منطقية ، لهزيمة جيش هائل من الآليين كهذا .

قال القائد الأعلى ، في عصبية أكثر :

- حتى بعد أن عرفنا الكثير عن مقاتلات الغزاة ؟

وحتى ونحن نعلم أين ومتى ستأتي الضربة الأولى ؟

هز الدكتور (جلال) رأسه ، قائلاً :

- هذا لن يصنع فارقاً كبيراً للأسف ، فمن الواضح ،

من تحليل ما جاء به الشبيه المعكوس ، أن أولئك

الغزاة الآليين لديهم وسيلة ما ، لمراقبة ومتابعة كل

ما نفعه في عالمنا ، وهذا يعني أنهم سيكشفون

محاولاتنا واستعداداتنا لمواجهةهم ، وسيتمكنون

ما يلزم للتصدي له .



اتجه القائد الأعلى نحو خريطة كبيرة للعالم ، وأدار بصره فيها بضع لحظات ...

وزفر مرة أخرى ، مضيقاً في عصبية :
 - واعتلذ سيبدأ تاريخنا في اتخاذ منحني جديد .
 اتعقد حاجباً القائد الأعلى ، وهو يقول :
 - ربما كانت الاحتمالات أفضل ، في هذه الحالة .
 قال الدكتور (جلال) في حزم متوتر :
 - أو أسوأ .
 لوح القائد الأعلى بذراعه ، قائلاً :
 - وما الذي يمكن أن يكون أسوأ من هذا ؟
 أجابه في سرعة :
 - أن تبدأ المقاتلات المليونية بمهاجمة دقعة واحدة ، حتى تسحق المركز الرئيسي للمقاومة ، من اللحظة الأولى .
 ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى في شدة ، وهو يدرس ذلك الاحتمال ، قبل أن يتساءل في اهتمام :
 - ولماذا لم يفعلوا هذا ، في ذلك العالم الآخر ؟
 أجابه الدكتور (جلال) :
 - ربما لم تكن هناك ضرورة عندئذ .
 اتجه القائد الأعلى نحو خريطة كبيرة للعالم ، وأدار بصره فيها بضع لحظات ، قبل أن يفهم في أسى :

.. لا توجد أية احتمالات للتجاة إذن .

تردد الدكتور (جلال) لحظة ، ثم قال :

.. ربما لو ..

استدار إليه القائد الأعلى في لهفة ، متسائلاً :

.. لو ماذا ؟

تردد الدكتور (جلال) بضع لحظات أخرى ، قبل

أن يجيب في حسم :

.. لو وجدنا وسيلة لإغلاق طريق النجوم .

بهت القائد الأعلى للجواب ، فتساعل مبهوراً :

.. أهذا ممكن ؟

أوما الدكتور (جلال) برأيه ، قالاً :

.. من الناحية النظرية ، الجواب هو نعم ، فكل

ما يحتاج إليه الأمر هو إحاطة الأرض بحزام من

الطاقة ، يمنع ذبذبة الاختراق من بلوغ نقطة الصفر ،

وهذا سيجعل من المستحيل عبور طريق النجوم

إليها .. الوسيلة التقليدية ستبقى بالطبع ، ولكن

السفر بالسرعات التقليدية ، أو حتى بسرعة الضوء ،

عبر ثلاث أو أربع سنوات ضوئية ، يحتاج إلى طاقة

لا محدودة ، وعم شائن من الوقود ، لست أظن أية

سفينة فضائية ، في الكون كله ، يمكن أن تحملها .

حتى ولو كانت بحجم كوكب كامل كما يصفونها .. ثم

إن الوقت والمسافة يكفيان لإلغاء الفكرة من العقول

الآلية الغازية تماماً .

هتف القائد الأعلى :

.. ولماذا لم تقل هذا منذ البداية ؟

قلب الدكتور (جلال) كفيه ، قالاً في أسف :

.. لأن هذا يحتاج إلى شهر كامل على الأقل

لإجازه .

تراجع القائد الأعلى كالمصعوق ، هاتفاً :

.. شهر كامل ؟ أهذا وقت السخيرية يا رجل ؟

أجابه الدكتور (جلال) في سرعة :

.. قلت منذ البداية إن الحل نظري الحسب .

صاح به القائد الأعلى في عصبية :

.. وليس لدينا ما يكفي من الوقت ، لنناقش الحلول

النظرية والاحتمالات المستقبلية ، التي تتجاوز حدود

الوقت المتاح .. أريد حلاً عملية .. حلاً تحسم

الأمور ، في أسرع وقت ممكن .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) ، وهو يغتم :

.. ربما لو حاولنا ، من الجانب الآخر .

صاح به فى عصبية :

.. أى جانب آخر ؟! طريق النجوم هذا أشبه بشبكة عنكبوت لا محدودة .. إنه أكثر توسعا وانتشارا من شبكات الإنترنت نفسها ، ولا يمكنك أن تحكم ملايين الداخل والمخرج فى آن واحد ، وخاصة عندما يكون بوسع خصمك أن يقفز من أية نقطة إلى أخرى ، دون حساب مسبق !

هز الدكتور (جلال) رأسه ، وقال :

.. ليس كما تتصور يا سيدى .. فعلى الرغم من أن طريق النجوم عبارة عن شبكة هائلة ، إلا أنه يشبه شبكة الإنترنت ، فى أنه هناك دائما طريق واحد رئيسى ، يقود إلى عالمنا نحن ، يمكن بلوغه من أى مكان فى الكون ، ولكنه وحده يعبر إلينا ، ولو أمكننا إغلاق هذا الطريق الرئيسى ، فستمتع أى شيء ، وأى شخص ، مهما كانت ماهيته ، من الوصول إلينا .
سأله القائد الأعلى مبهوتا :

.. وكيف يمكن إغلاق ذلك الطريق الرئيسى ، من الجانب الآخر كما تقول ؟!

بدا التردد مرة أخرى ، على الدكتور (جلال) ، فهتف به القائد الأعلى فى حدة :

.. أفصح يا رجل .. ليس لدينا الزمن كله ..

ازدد الدكتور (جلال) لغاية ، وقال :

.. هذا يحتاج إلى فريق علمى ، فى مهمة خاصة جدا .

وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يضيف فى حزم :

.. مهمة انتحارية .

واتسعت عينا القائد الأعلى ..

لقد فهم ما يعنيه رئيس مركز الأبحاث ، ولم يستطع النطق بحرف ..

حرف واحد ..

* * *

« كيف حالك ؟ »

ألقي (نور) السؤال على شبيبته ، فى لهجة تحمل الكثير من التعاطف ، على نحو جعل الآخر يبتسم فى شحوب ، لا يناقسه سوى شحوب وجهه وهو يقول :

.. لا يمكننى أن أدعى أنني فى أفضل حال .

غمغم (نور) فى أسى :

- بالتأكيده .

كان الشبيه شاحباً معتقفاً إلى حد مخيف ، ولقد بدت عيناه زالفتين ، وهو يشير بيده ، متسائلاً في مرارة :

- لم تجدوا وسيلة لإتقاذ عالمي .. أليس كذلك ؟

زرد (نور) لعابه في صعوبة ، وهو يجيب :

- إننا لم نجد بعد وسيلة لإتقاذك .

هز الشبيه رأسه ، قائلاً :

- لم يعد هناك فارق .. إنني أعلم أنه من المستحيل أن تحتل خلاياي العيش طويلاً ، في عالم معكوس .. إنني أشعر بهذا جيداً .. هذا الشحوب ، والإرهاق العنيف ، وآلام الصدر والغثاس .. إنني أحضر ببطء يا صديقي .

نطق عبارته الأخيرة ، وهو ينذل جهداً خرافياً ليبتسم ، ثم لم يلبث أن لَوَّح بيده ، متابعاً في ألم :

- حتى حركة يدي تؤلمني بشدة .

قال (نور) بصوت خافت ، وكأنما يعتذر عن كل ما حدث :

- الأطباء سيستخدمون عقاراً جديداً ، لتخفيف آلامك .

ابتسم الشبيه مرة أخرى في شحوب ، متمتماً :

- ومن أذراهم أنه لن يعمل على نحو معكوس ؟

ثم زفر في توتر بالغ ، قبل أن يتساءل :

- وماذا عن عالمك ؟

أجاب (نور) :

- القرو سيبدأ بعد ست وثلاثين ساعة .

هز الشبيه رأسه في ألم ، متمتماً :

- يا للضسارة !

وعض شفته الباهتة ، متابعاً :

- أتضمن أن يكون حظكم أفضل منا

قال (نور) :

- سنبدل قصاري جهنما .

وافق الشبيه بإشارة من يده ، قبل أن يستلقي على

قراشه ، ويسبل عينيه ، قائلاً في ضعف :

- للضعف الذي يحيط بي ، يستغنى عن التلغيز

بذهن صاف ، ولكن هناك عدة نقاط ، أرجو أن توليها

اهتمامك ، وأنت تراجع قصة عالمي كلها .

سأله (نور) فى اهتمام :

- وما هى ؟!

أشار الشبيه بسبأبته فى تهالك ، قائلا :

- إنها بضعة أسللة ، تحتاج إلى أجوبة شافية ..

غمغم (نور) :

- على أذان مصغية ..

خيل إليه أن شبيهه يقنوم غيبوبة عتيقة ، تهاجم

عقله فى شراسة ، وهو يقول :

- الضوء يا صديقى ..

سأله (نور) فى حيرة :

- أى ضوء ؟!

أجاب به ضعف متزايد :

- لماذا كانوا يطلقون الأضواء ، كلما انتقلنا ، من

قاعة إلى أخرى ؟! حتى فى أثناء هروبنا ، وعندما

كان ذلك البعوض الألى يهاجمنا ، انطلقت أضواء

القاعة ؟! فلماذا ؟!

فقرت عدة نظريات إلى رأس (نور) ، ولكنه لم

يحاول نقل إحداها إلى لسانه ، وهو يستمع إلى

شبيهه ، الذى تابع :

- ولماذا لم نر الغزاة قط ؟! لماذا لم نر حتى بعض

الحراس أو المعاوين ، حول ذلك الإمبراطور الألى

العلاق ؟!

ثم اعتدل فى صعوبة ، وفتح عينيه الزائفتين .

ليقول متوترا :

- ولكن الأكثر أهمية سؤالا .. لماذا لم تتبعنا

مقاتلات الغزاة ، عندما عبرنا طريق النجوم ، فورا

منها ؟! ولماذا كان الغزاة يهاجمون كل دولة على

حدة ، على الرغم من امتلاكهم لقوة فضائية هائلة ،

لا قبل للعالم أجمع بها ؟!

تراجع (نور) فى مقعده ، واعتقد حاجباه فى

تفكير عميق ، فى حين رفع شبيهه يده فى إرهاق ،

متمتما :

- ابحث عن أجوبة لهذه الأسئلة يا صديقى ،

وربما .. وربما ..

ارتجفت الكلمات على شفثيه ، وهو يبذل جهدا

شديدا ، لينطق كلماته ، و ..

ولكن ضغطه الشديد لم يسهله ..

لقد هوى فجأة فى غيبوبة ..

غيبوبة عميقة ..
للغاية ..

* * *

اتخذ حاجبا (أكرم) في شدة ، وهو يستمع إلى
(نور) في اهتمام ، قبل أن يلوح بيده في قوة ،
هاتفا :

- عظيم .. إذن فالتاريخ بعيد نفسه إذن .. شبيهك
أرسلوه وفريقه في مهمة انتحارية ، كانت بداية
نهايتهم ، وهنا يطلبون منا القيام بالمهمة ذاتها .. قل
لي يا (نور) : ألا يتعلمون أيذا ؟
أجابه (نور) في هدوء :

- الأمر يختلف تماما يا (أكرم) .. شبيهي العسكريين
وفريقه تطلقوا إلى مهمتهم الانتحارية ، لتحديد موقع
الغزاة وطبيعتهم ، أما نحن فننتقل إليها ، ولدينا كل
المعلومات اللازمة ، ونهتمنا أن نعمل على إغلاق
طريق التجوّم في وجوههم تماما ، وليس أن نجمع
بعض المعلومات عنهم .

هتف (أكرم) في حدة :
- ولماذا يرسلوننا نحن ؟ لماذا لا يرسلون الفرقة
من فرق الصاعقة أو القوات الخاصة ؟

أجابه (نور) في حزم :

- لأن هذا العمل يحتاج إلى متحرفين في الاتجاهين ..
بحاجة إلى فريق علمي انتحاري ، وهذا ينطبق أكثر
ما ينطبق ، على فريقنا بالذات .
اتخذ حاجبا ، وهو يقول في عصبية :
- هذا واضح .

نقل الباقون أصابعهم ، بينه وبين (نور) . قبل
أن تتساءل (سلوى) في توثر :
- ما الذي سنفعله بالصبي يا (نور) ؟
أجابه (نور) في حزم :

- إغلاق طريق النجوم يحتاج إلى إطلاق ذبذبة
خاصة قوية ، ثم اعتراضها بإيقاع صوتي حرج
مباغت (*) ، بتوقيت بالغ الدقة ، لا يصلح للقيام به

(*) الإيقاع الصوتي الحرج : طبيعي ، من ناحية علمية ، أن
يتساعد الصوت وينغلق تدريجيا ، على نحو منتظم ، ولأن الإيقاع
الصوتي الحرج يعنى ميوحة التردد إلى الصغر دفعة واحدة ، وهذا
يؤدي إلى توقف ارتجاجي مباغت ، قد يتسبب في تعطيل الارتجاج ،
أو ميوحة القابلة للكسر ، كما أنه يسبب حائشا بالغا ، لكل
المخلوقات ، التي لديها القدرة على التلصص الذبذبات فوق الصوتية .

سوى خبيرة صوتيات مثلك يا (سلوى) ، بمعاونة
 خبيرة كمبيوتر محنكة مثل (نشوى) .
 قالت (نشوى) فى لهفة عصبية :
 - لا توجد ضرورة لذهاب (رمزى) و (أكرم) إذن .
 احتقن وجه (أكرم) ، وهو يهتف فى حدة :
 - ماذا تقولين يا فتاة ؟! الفريق لن يذهب إلى أى
 مكان بدونى .. أنا جزء مهم منه ، شئت أم أبيت .
 قال (رمزى) فى حزم :
 - هذا ينطبق على أيضا .
 التفتت إليه (نشوى) ، هاتفة فى ارتياح :
 - مستحيل ! لن أسمع لهم بأن يفعلوا بك ما فعلوه
 بشبيهك .
 هتف مستكبرا :

- تسمحين لهم ؟! أى قول هذا يا (نشوى) .. ألم
 يمكنك إدراك الأمر جيدا ؟! منذ اللحظة التى هبط فيها
 شبيه (نور) المعكوس إلى عالمنا ، اختلت حالة
 التوازى ، وتفصل تاريخنا عن تاريخهم تماما ،
 وكذلك مصيرنا ومصيرهم ، وطبقا للمنطق العلمى
 البحث ، فما حدث فى عالمهم ، لم يعد من الممكن

أبدا أن يتكرر فى عالمنا .. بل إنه من المستحيل أن
 يحدث هذا الآن .
 قالت (سلوى) ، بلهجة أرادت أن تضفى عليها
 شيئا من الحماس :
 - وربما كان مستقبلنا أفضل .
 تغم (أكرم) فى عصبية :
 - أو أسوأ .
 أجاب (نور) فى حزم :
 - أيا كانت النتائج ، علينا أن نبذل قصارى جهدنا
 فحسب ، ولنترك النتائج للخالق (عز وجل) ، فهى
 ليست من شأننا .
 ارتجفت شفتا (نشوى) ، وخفضت عينيها ، وهى
 تتنم :

- بكل تأكيد .
 تطلعت كلمتها ، فساد صمت ثقيل فى المكان ،
 وراح كل منهم ينقل بصره فى وجوه الآخرين ،
 وكأنما لديهم ما يخشون الإفصاح عنه ، إلى أن قال
 (أكرم) ، قاطعا ذلك الصمت :
 - ومتى نطلق يا (نور) ؟!

القي (نور) نظرة على ساعته ، قبل أن يجيب في خزم :

« خلال ست ساعات على الأكثر .

ثم شد قامته ، مستطرذا :

« وهذا يعني أنه ستكون أماننا ثلاثون ساعة كاملة . »

قبل أن يتم عبارته ، ارتج المكان كله بضجيج عجيب ..

ومخيف ..

ضجيج لم يكن من المفترض حدوثه ، قبل ست وثلاثين ساعة كاملة ..

وكان هذا يعني الكثير ..

الكثير جداً ..

* * *

« إنها محاولة الاختراق الأولى .. »

نطق الدكتور (جلال) العبارة ، وكيانه كله يرتجف ، وتحركت منابذته فوق خريطة العالم ، مكملاً :

« نفس الأماكن ، نفس التوزيع ، ونفس درجة الارتجاج ، التي سجلها شببك في عالمه ، ولكن قبل الموعد الذي أخبرنا به بست وثلاثين ساعة كاملة ..

ثم زفر في علف ، مضيقاً :

« وليس هناك أدنى شك في تحليل الموقف .. إنها

محاولة اختراق لقضاء .. أدرك ما يعنيه هذا أيها المقدم ؟

أجاب (نور) في لهجة خاسمة :

« يعني أنه هناك جاسوس بيننا يا سيدي .

كان الجواب مباغتاً بحق ، حتى إن القائد الأعلى والدكتور (جلال) حدقا في وجهه بدهشة بالغة ، قبل أن يهتف الأول :

« ماذا تقول يا (نور) ؟

التفت إليه (نور) ، مجيباً :

« أقول : إن التفسير الوحيد لما حدث ، هو أنه

هناك جاسوس بيننا ، ينقل التطورات أولاً فأولاً إلى القزاة ، بواسطة ما . وهذا ما دفعهم إلى تقديم موعد الاختراق ، لمنعنا من اكتشاف كل ما يمكن أن يعرض حملتهم للخطر .

كان تفسيراً منطقياً إلى حد مخيف ، حتى أن القائد الأعلى والدكتور (جلال) قد تبادلوا نظرة مرتاعة ، نهض بعدها الأول من خلف مكتبه ، وهو يقول في توتر :

- هذا أمر بالغ الخطورة ، ومنطقي أيضا للغاية .

قال الدكتور (جلال) في انفعال :

- ودون أدنى شك ، فمن الناحية العلمية المحضّة ، كان ينبغي أن يتحرك الغزاة بنفس النمط ، الذي تحركوا فيه في العالم الآخر ، حتى مع وصول ذلك الشبيه المعكوس إلينا نظرا لأنه من الطبيعي أن يجهلوا كل شيء عنه ، ولكن تحركاتهم السريعة ، وانتقائهم عن التسلسل الزمني المنطقي ، يؤكد أنهم قد علموا بأمره .

أشار (نور) بسبابته ، قائلا :

- ليس هذا فحسب ، وإنما أمكنهم اختراق وسائل أمننا ، ومعرفة ترتيباتنا ، الخاصة بمواجهتهم ، وقرروا أن يتحركوا أسرع منا ، حتى لا يفقدوا زمام العبادة قط .

العقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يتحرك في المكان بعصبية ، قائلا :

- هذا أمر بالغ الخطورة يا (نور) ، ولا بد من حسمه بأسرع وقت ممكن ، فلو لم نتمكن من كشف تلك الشفرة وإغلاقها ، قبل أن يبدأ الغزو ، لتحولت إلى سيف حاد ، يفرس في قلوبنا بلا رحمة .

زفر الدكتور (جلال) في ثوتر ، قائلا :

- هذا لو لم يقطع رؤوسنا أولا .

قال (نور) في حزم :

- دعنا نأمل أن نبلغ نحن رأس ذلك الجاسوس أولا .

رفع القائد الأعلى سبابته ، قائلا :

- المهم أن نحدد هويته في البداية ، فلن يمكننا فحص ومراجعة أوراق الجميع ، واستجواب كل من تحوم حول موقعه الشبهات ، في الساعات القليلة القادمة .

أجاب (نور) في حزم :

- يمكننا أن نختصر دأرة البحث إلى حد كبير ، فالجاسوس الذي تبحث عنه ، يحتل حتماً موقعاً متقدماً للغاية ، بحيث يمكنه الاطلاع على تقارير بالغة السرية ، في نطاقات عديدة ، وهو مطلع ، في الوقت ذاته ، على كل ما يخص شبيهي ، وانتقاله من مستقبل عالم إلى عالمنا ، ويدرك مدى خطورة الأمر . وما يمكن أن يؤثر به على مصير الغزو كله .

التصت عينا القائد الأعلى ، وهو يقول :

- ولكن الذين ينطبق عليهم هذا معدودون
يا (نور) ، وهم من قيادات الإدارة ، وكلهم تم
اختيارهم بدقة بالغة .

قال (نور) في اهتمام :

- ربما تم إبدال أحدهم بوسيلة ما .

قال الدكتور (جلال) في حزم :

- هذا مستحيل ! إجراءات الأمن والتحقق من
الشخصية تم تطويرها كثيراً ، بعد ما حدث من زلزال
القضاء السابق^(*) ، ولم يعد خداعها ممكناً .

هز (نور) رأسه في إصرار ، قائلاً :

- ولكن من المستحيل أن يخرج الجاسوس عن
هذه الدائرة ..

تبادل الدكتور (جلال) والقائد الأعلى نظرة متوترة
للغاية ، قبل أن يقرر الأخير في عصبية ، قائلاً :

- المؤسف أن تحليلك منطقي ومقتنع تماماً يا (نور) ..
الجاسوس حتماً هو واحد منهم للأسف .. ساراجع
بيانات الكمبيوتر الخاصة بهم بأنفسهم ، و

(*) راجع قصة (كرة النار) .. المغامرة رقم ١٢٥

قبل أن يتم عبارته ، التفت عينا (نور) ، وتأنقنا
بشدة ، فهتف به القائد الأعلى في لهفة :

- (نور) .. لقد توصلت إلى شيء ما ..

هتف (نور) في انفعال :

- بالتأكيد يا سيدي .

سأله الدكتور (جلال) في لهفة :

- وما الذي توصلت إليه أيها المقدم ؟

أجاب (نور) ، بكل حماس للدنيا :

- الجاسوس يا دكتور (جلال) .. لقد توصلت إلى

معرفة الجاسوس ، الذي يعمل لحساب الغزاة .

والتفت عينا الدكتور (جلال) عن آخرهما .

وخلق قلبه ..

بمنتهى العنف ..



٣ - الجاسوس ..

« الكمبيوتر !! ... »

هتفت (نشوى) بالكلمة فى ذهول ، وهى تحدق فى وجه والدها ، الذى شد قامته ، فى اعتداد شديد ، وهو يجيب :

- نعم يا رفاق .. جاسوس القراءة هو الكمبيوتر نفسه .. آلة تتجسس لحساب غزاة من الآلات ..

هتف (أكرم) :

- ولكن كيف !!

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

- الكمبيوتر أصبح كل شيء فى حياتنا ، منذ السنوات العشر الأخيرة ، من القرن العشرين .. كل شيء يدار بواسطة ، وهو منتشر فى كل مكان ، عبر شبكة هائلة لا محدودة ، يتصل بعضها ببعض ، على نحو لم يحدث فى أى نظام آخر ، عبر التاريخ كله .. إنه يتحكم فى كل أجهزة الرؤية ، والسمع ، والاتصالات ، والمواصلات ، وتخزين المعلومات ،

وحتى الدفاع الجوى والقتال ، وإطلاق الصواريخ إلى الفضاء ، والتحكم فى شبكة الكمبيوتر هذه ، يجعل المرء مطلعاً على كل شيء فى العالم ، ويساعده على تخزين كم لا محدود من المعلومات ، يكفى لبناء صورة تامة عن عالم بأكمله ، بحيث يمكنك فهم طبيعته ، وتضاريسه ، وسكانه ، وحتى مناخه وحشرات ..

سألته (سلوى) فى حيرة متوترة :

- لهذا أصريت على فصل كل الأجهزة الآلية والإلكترونية عن المقر ، قبل أن تفصح عما لديك !!
أجاب فى حزم :

- بالضبط .. إلنا لم تدرك بعد كيف يعمل ذلك الجاسوس الإلكتروني ، لذا فمن المحتم أن نتخذ كل الاحتياطات الممكنة .

سأله (رهزى) فى توتر :

- ولكن كيف يا (نور) ؟! كيف تمكن أولئك الغزاة من السيطرة على شبكة الكمبيوتر ، وحولوا عملها لصالحهم !!

أشار (نور) إلى ابنته ، مجيباً :

- هذا ما ستخبرنا به (نشوى) -

فتت (نشوى) فى دهشة :

- أنا ؟!

أجابها فى سرعة :

- بالطبع .. أنت خبيرة الكمبيوتر بينما ، ووجدك

يمكنك أن تشرحى لنا ، كيف يمكن أن يحدث هذا .

قالت مبهوتة :

- هناك وسائل عديدة لذلك !

قال فى حزم :

- أمامك ثلاث ساعات ونصف الساعة ، لتكتفى

الوسيلة التى استخدمها الغزاة ، وتجدى وسيلة

للسيطرة عليها ، أو هزيمتها تماماً .

قالت فى توتر :

- ثلاث ساعات ونصف الساعة ؟! ألا يمكننى

الحصول على وقت أطول ؟!

هز رأسه نفيًا ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره ،

قائلًا :

- كلا .. لا يمكنك هذا ، فبعد هذا التوقيت ،

سنكون داخل معركه الفضاء (ابن ماجه) ، فى

طريقنا ، عبر طريق اللجوم ، لمواجهة الغزاة ،

والسعى لإغلاق السبيل فى وجوههم .

اتعدت حاجبها ، وهى تنهض نحو الباب ، قائلة :

- فلأبدأ على الفور إذن .

سألها فى شيء من الصرامة :

- إلى أين ؟!

أجابته فى دهشة :

- سأحضر جهاز الكمبيوتر الخاص بى .

هز رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- لا .. لا تحضره إلى هنا .. أريد هذا المقرر

نظيفًا ، حتى يتم كشف ذلك الجاسوس الإلكتروني ..

أعنى فى مكتبك الخاص ، أو ...

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع فريز هاتف الفيديو ،

فاستدار إليه ، وضغط زر الاتصال ، فظهرت على

الشاشة صورة الدكتور (جلال) ، وهو يقول فى

توتر واضح :

- (نور) .. نريدك فى المستشفى الخاص بنا

فورًا .

سأله (نور) فى قلق :

.. ماذا حدث ؟

أردود الدكتور (جلال) لعابه ، قاتلاً :

.. شببيك يا (نور) .. إبه ..

قاطعه (نور) في توتر :

.. هل يحتضر ؟

عز الدكتور (جلال) رأسه ، في قوة وحدة ، قبل

أن يجيب في عصبية :

.. كلا .. إبه أسر عجيب .. عجيب حتى إنك لن

تصدقه ، إلا لو رأيته بنفسك !

ثم سأل إلى الأمام ، مضيقاً في حدة :

.. المهم أن تسرع يا (نور) .. أسرع بالله عليك ،

قبل أن ينتهي كل شيء ..

وكانت هذه العبارة الأخيرة وحدها كافية ، لتحقيق

قلوب الجميع بمنتهى الخوف ..

وليقفز إلى رعوس الجميع تساؤل مخيف ..

للغاية ..

* * *

مع مرور الوقت ، ومواجهة الخطر ، في العديد من

الصور ، قد يعتاد المرء رؤية إنسان يحتضر ..

ولكن من المؤكد أنه ما من تجربة ، في الحياة كلها ،

يمكن أن تجعل المرء يعتاد رؤية نفسه ، وهي تحتضر ..

أو بمعنى أدق ، رؤية شببيه ، هو نسخة طبق

الأصل منه ، في هيئته ..

وعقليته ..

وواقعه ..

وتاريخه ..

ولكن بصورة معكوسة ..

لكل هذا ، سرت في جسد (نور) قشعريرة عجيبة

عظيمة ، وهو يذلف إلى حجرة شببيه ، في المستشفى

التابع لمركز الأبحاث العلمية ، والذي اكتظ بالأطباء

والعلماء والباحثين ، الذين راخوا جميعاً يحدقون في

تلك الظاهرة العجيبة ، التي أحاطت بالشببيه ..

كان يرقط على فراشه ، صاحب الوجه بشدة ، حتى

يبدو أشبه بالموتى ..

لولا تلك الهالة المحيطة به ..

هالة تتموج بكل ألوان الطيف ، في تناغم ونعومة

مدهشين ، حتى ليخيل إليك أنه ملك يحتضر ، وليس

بشرياً عادياً ..

وما إن وقع بصره على (نور) ، وعلى الرغم من كل ما يشعر به ، من ضعف وألم ، لَوَّحَ شبيهه بمسبأته ، وابتم في شحوب ، متممًا :

- هل رأيت ما حدث يا صديقي ؟ ألم تتمن دوماً أن تتألق ، قبل أن تنتهي حياتك ؟

اقترب منه (نور) ، وسأله في خفوت مشفق :

- ماذا حدث ؟

أشار الشبيه بيده إلى الأطباء المحيطين به ، متممًا :

- سلهم .

رفع (نور) عينيه إلى كبير الأطباء ، الذي تنهد ، قائلاً ، وهو يقبض عليه في استسلام أسف :

- لقد بلغ المرحلة اللا رجعية .. خلاياه تتفاعل مع عالمنا ، وتتهار في بيئته المعكوسة ، والطاقة الناتجة من الانهيار الكلوي ، هي التي تحيطه بتلك الهالة العجيبة .

تتم (نور) :

- إني لم أر شيئاً كهذا قط .

هزَّ الرجل رأسه ، مخمضًا :

- إنك لن تتلقى شخص من عالم معكوس كل يوم .
أوماً (نور) برأسه متفهمًا ، وعاد بتفت إلى شبيهه ، الذي حاول سرقة أخرى أن يتشم ، وهو يقول بصوت أشبه بالهمس :

- هل أدركت ما يعنونه يا صديقي ؟ إني أحتضر ..
حياتي في عالمكم تنتهي ، قبل أن أجد وسيلة لإنقاذ عالمي .

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

- لا ترهق نفسك بالحديث .. إنك ..

قاطعه شبيهه في نهالك :

- بل دعني أتعذّر يا صديقي .. أوصيت لن يطول عصري كثيراً ، ولكن حديثاً قد يطيل أعماركم أتم .

اتعقد حاجبا (نور) ، فتابع شبيهه :

- ربما عجزت عن إنقاذ عالمي ، وتجنبيه ذلك الجحيم ، الذي سيبيده حتماً ، إن عاجلاً أو آجلاً ، ولكن من يدري ؟ ربما ساهمت في إنقاذ عالمك أنت .

ثم أدلر عينيه فيمن حوله ، متممًا :

- هلاً منحتمونا فرصة التحدث وحدثنا ؟

أجابه كبير الأطباء :

- بالتأكيد يا ولدي . . . بالتأكيد

ثم أشار إلى باقي الأطباء ، قائلاً في حزم :

- هيا بنا .

قال أحدهم في توتر :

- نغادر المكان ؟! كيف ؟! المفترض أن . . .

قاطعهم كبير الأطباء في صرامة ، وهو يرمقه بنظرة

غاضبة :

- قلت : هيا بنا .

تبادل الأطباء نظرة صامتة ، ثم غادروا المكان

على الفور ، وما إن أغلق أقرعهم بابها خلفه ، حتى

أشار الشبيه بيده ، قائلاً :

- أغلق كل الأجهزة الإلكترونية ؟!

تردد (نور) لحظة ، وقال :

- بعض هذه الأجهزة يتيقك حياً .

أجابه في حزم :

- والبعض الآخر يثقل أحاديثنا للغزاة .

ارتفع حاجبا (نور) في دهشة ، وهو يقول :

- هل استنتجت هذا ؟!

ابتسم الشبيه ، وغمغم :

- أراهن على أنك فعلت ، في اللحظة نفسها .

تمتم (نور) :

- تقريباً . .

التقط الشبيه نفساً عميقاً ، وراح يلهث في قوة ،

فقال (نور) نحوه في إشفاق ، قائلاً :

- قلت لك : إن الصمت . .

قاطعهم مرة أخرى في عصبية :

- دعك مني ، وأغلق تلك الأجهزة أولاً . . هيا . .

أسرع بالآلة عليك ، قائلاً لزداد ضعفاً . . هيا .

تردد (نور) لحظة أخرى ، ثم لم يلبث أن اتجه

إلى مفتاح التشغيل الرئيسى ، وأغلقه ، ثم التفت إلى

شبيهه ، قائلاً :

- لقد فعلتها .

أغلق الشبيه عينيه بضع لحظات ، ثم عاد ويفتحهما

متسائلاً في ضعف :

- هل توصلت إلى جواب الأسئلة ؟!

غمغم (نور) :

- ليس بعد .

رفع الشبيه سبابته في صعوبة ، قائلاً :

- أنا فعلت ..

هتف (نور) فى لهفة :

- حقاً ؟

أجاب الشبيه :

- أنت أيضاً ستفعلها يا صديقى ، ولكننى أتمنى
عك بأننى قد رأيت كل شيء بنفسى .

ثم بقل جهداً ، ليرفع رأسه عن الفراش ، مستطرداً :
- وهذا ما ساعدنى على الفهم .

لاحظ (نور) أن الهالة المحيطة بشبيهه تخبو
رويداً رويداً ، فقال فى توتر :

- ساعد تشغيل الأجهزة .

هتف شبيهه :

- لا .. لا تجعلهم يدركون أننا قد فهمنا هذا ..

استمع إلى أولاً .

ثم لهث فى شدة ، قبل أن يضيف :

- كل هذا ليس حقيقياً يا صديقى ..

سأله (نور) فى دهشة :

- ماذا تعنى ؟



التقط الشبيه نفساً عميقاً ، وراح يلهث فى قوة ، فقال (نور)

نحوه فى إشقاق ..

أجابه في سرعة ، وصوته يزداد خفوتا ، مع خبوة
الهالة المحيطة به أكثر وأكثر :

- لا تجعلهم يخدعونك .. هذا ما يجيدونه تماما ..
انظر إلى حقيقتهم ، وليس إلى ما يبدون عليه .. إنهم
ليسوا عمالقة يا صديقي .. ليسوا ..

لم يستطع إكمال عبارته ، واتسعت عيناه عن
آخرهما ، زيدا وما كان خلقه يغص بالكلمات ، وتلاشت
الهالة المحيطة به أو كادت ، فصاح (نور) في
ارتباك ، وهو يقلق نحو مفتاح التشغيل الرئيسي ،
ويضغظه بكل قوته :

- رباه ! لا تستسلم لهذا يا رجل لا تستسلم -

انهار رأس الشبيه على الوسادة ، واتسعت عيناه
أكثر وأكثر ، وغص خلقه بحسرة عجيبة ، فاندفع
(نور) خارج الحجرة ، صالحا :

- أسرعوا بالله عليكم .. إنه ينهار -

اندفع فريق الأطباء إلى الحجرة ، والتفوا حول
الفرش ، وراحوا يتأكدون من توصيلات الأسلاك ،
وعمل الأجهزة ، التي تقيس النبض وضغط الدم ،
ومعدلات التنفس ، وإشارات المخ ، وغيرها من

العلامات الحيوية ، والتي أشارت مؤشراتها كلها إلى
الصفير ، على الرغم من الارتجاف الواضحة ، في
جسد الشبيه كله ، وإلى شفثيه المترعدين ، وهو
يتمتم :

- وهم .. مجرد وهم ..

اتعقد حاجبا (نور) في شدة ، والتصق بالجدار ،
دون أن يتيسر ببنت شفة ، أو يحرك ساكنا ، وهو
يحدق في شبيهه ، الذي راح الأطباء يبدلون قصارى
جهدهم لإسعافه ، وهو يلهث في شدة ، قبل أن يرفع
رأسه بقّة ، ويتطلع إلى عيني (نور) مباشرة ، ثم
يشير إليه بسمائه ، قائلا :

- يوما ما ، قد تجدون وسيلة للعودة إلى عالمي ،
في زمن مناسب .. عذسي أن تبذل قصارى جهدك
عندئذ

لم يستطع إكمال عبارته ، فسرت قشعريرة باردة
كألف ألف جبل من الثلج ، في جسد (نور) ، وهو
يقغم ، وقد فهم ما يرمي إليه شبيهه :

- أعدك ..

أغلق الشبيه عينيه في ارتياح ، وترك رأسه يسقط
على الوسادة ، مغمضاً :

- عظيم -

ومع آخر حروف كلمته ، توفّجت الهالة المحيطة
به ، وتألّقت على نحو عجيب ، حتى إنها أضاءت
المكان كله بضوء مبهّر ، أجبر الجميع على إغلاق
عيونهم لحظة ..

لحظة واحدة ، خبا بعدها الضوء تماماً ..

واقفحت العيون ..

ثم خفقت القلوب في عنف ..

فقد كان ذلك الضوء المبهّر هو الوهج الأخير
للهالة ..

ولحياة ذلك الشبيه العسكين ..

(نور) .

(نور) العالم الآخر ..

* * *

« (نور) .. آنت بخير ؟ »

تسلل صوت (سلوى) حنوناً مثليفاً ، إلى أذني
(نور) ، فرفع كفيه عن وجهه ، وأدار إليها عيني

محتقنين ، من غزارة الدموع الحبيسة فيهما ، وهو
يغمغم ، بصوت حمل كل حزن وموارة الدنيا :

- نعم يا (سلوى) .. أنا بخير -

ثم أشاح بوجهه ، مستطرداً :

- على عكس شبيهي العسكين ،

ربكت على كتفه في عطف وحنان ، مغمضة :

- موته ألمنى أيضاً يا (نور) .. إنه شبيهك ، ولكن

الموت هو مصيرنا جميعاً .. طال الزمن أم قصر .

هز رأسه ، قائلاً في ألم :

- لم يستطع إنقاذ عالمه .

قالت :

- هذا قدره .

ثم استكرحت في سرعة :

- وما زال أمامنا قدرنا نحن .

صممت بضع لحظات ، اتعقد خلالها حاجباه في

شدة ، قبل أن يقول :

- صدقت .

والتقط نفساً عميقاً ، امتلأ به صدره ، قبل أن

ينهض ، قائلاً في حزم عجيب :

- وعلمنا أن نقاتل من أجله بكل قوتنا .

لم يكذبتم عبارته ، حتى انفجعت (نشوى) إلى مقر الفريق ، هائلة :

- أبى .. لقد توصلت إليه .

التقت إليها الجميع في سرعة ولهفة ، فأضافت في
الفعال :

- توصلت إلى الجاسوس .

سألها (نور) :

- ما طبيعته بالضبط ؟

أجابت في سرعة :

- إنه أحد فيروسات الكمبيوتر^(*) .

هتف (أكرم) مستكراً :

- فقط ؟

(*) فيروس الكمبيوتر : هو برنامج دخيل ، صغير الحجم في

الأشبه ، ولكن له آثار مدمرة ، على برامج الكمبيوتر الأخرى .

أو ذاته الأساسية ، ولأرباب الحاسب أن الأطباء النفسيين هم الأقدر على

تحليل وتفسير السبب ، الذي يدفع بعض العباقرة إلى ابتكار تلك

الفيروسات ، لتدمير أجهزة الكمبيوتر الأخرى ، دون فائدة مباشرة^(١)

التفتت إليه ، مجيبة :

- لا تستهين بفيروسات الكمبيوتر ، فممنذ أن وضع

أحدهم بذرتها الأولى ، في أوائل التسعينات ، من القرن

العشرين ، وهي تتطور على نحو مخيف ، ولست

أدري لم يبذل البعض كل هذا الجهد ، لابتكار وسائل

جديدة ، لإفساد وتدمير أصال الآخرين ، ولكن أحدهم

نجح ، في نهاية القرن العشرين ، وبدايات القرن

الحادي والعشرين ، في اختراع وتطوير جيل جديد من

فيروسات الكمبيوتر ، نطلق عليه اسم (الفيروسات

الذكية) ، وهي تختلف عن الجيل السابق في قدرتها

المدهشة على تطوير نفسها ، وكشف كل محاولات

التصدي لها وتدميرها ، ومواجهتها بزدود أفعال

عنيفة ، قد تؤدي إلى آثار أكثر تدميراً ، بالنسبة

لأجهزة الكمبيوتر ، أو النظم الإلكترونية المعقدة .

سألها (رمزي) في قلق :

- وهل الفيروس الذي نتحدثين عنه ، من هذا

النوع ؟

أجابت في انفعال :

- بالضبط .

ثم أدبرت عينيها في وجوههم ، متابعة :

- ليس هذا فحسب ، ولكنه أكثر تطوراً أيضاً ،
على نحو يشق عن مدى تفكّم وعبقورية صناعته ،
فلديه القدرة على الاختباء بكفاءة شديدة ، داخل برنامج
التشفيل الإلكتروني ، لشبكة كمبيوتر المعلومات ،
والتوغّل فيها جميعها ، دون أن تكشف البرامج
المضادة للفيروسات وجوده .

سألها (أكرم) مبهوراً :

- كيف كشفت أنت وجوده إذن ؟

هزّت كتفيها ، سجيبة :

- لقد استخفمت برنامجاً جديداً .

ثم استدرجت في أفعال :

- وحتى مع هذا ، ثم يكن الأمر سهلاً .

ألقت (نور) نظرة على ساعته ، قائلاً :

- عظيم .. المهم أنك قد كشفت أمره .. هل يمكنك

إبطال مفعوله إذن ، في غضون الساعتين المتبقيتين ،

قبل أن نطلق في رحلتنا ؟

غمغم (أكرم) :

- تقصد قبل أن تلقى بأنفسنا في قلب الجحيم .

رمقه (نور) بنظرة صارمة ، قبل أن يستطرد :

- هل يمكنك هذا ؟

هزّت رأسها ، قائلة :

- المشكلة ليست مشكلة وقت .

سألها (رمزي) :

- مشكلة ماذا إذن ؟

أجابت بالفعال :

- مشكلة أنه ليس فيروساً ذكياً فحسب ، وإنما هو

فيروس عبقري ، ولولا أنني قد التفتت حوله ،

واقفته بأني أقوم بفحص روتيني فحسب ، لاتخذ

رد فعل بالغ المراسمة ، و ...

تردّدت لحظة ، فسألها (نور) في قلق :

- وماذا ؟

رفعت عينيها إليه ، سجيبة :

- ودعّر نظام الكمبيوتر لدينا بأفعله .

اتعدت حاجباه في شدة ، وهو يقول :

- من المؤكد أنه لدينا أسلوب وقائي ، ضد

الفيروسات الذكية .

أومأت برأسها إيجاباً ، وقالت :

- لدينا نظام فعال للغاية ، ولكن هذا الفيروس
عقري ، كما سبق أن أخبرتكم ، وهو جديد تمامًا ولم
يتم اختباره أو دراسته من قبل ، والوقت المتبقي
لا يسمح بإجراء الاختبارات اللازمة ، قبل البدء
بمهاجمته .

أرداد انعقاد حاجبي (نور) ، وبدأت عليه علامات
التفكير العميق ، وهو يتجه إلى النافذة ، ويتطلع
عبرها في صمت ، قبل أن يلتفت إلى ابنته ، قائلاً في
حزم شديد :

- هناك وسيلة لاختبار الأمر ، خلال دقائق معدودة .
سألته في دهشة :

- وما هي ؟

استدار إليها بجسده كله ، مجيباً :

- أن نهاجم الفيروس على الفور .

اتسعت عيناها في استنكار مندهش ، وهي تهتف :

- وماذا لو ...

قاطعها في صرامة :

- هذا سيحسم الأمر في سرعة .

قالت (سلوى) في توتر :

- أو يسحق نظامنا الكمبيوترى بضربة واحدة .

هز رأسه في حزم ، قائلاً :

- لست أظن هذا سيحدث .

سأله (رمزي) :

- وكيف يمكنك أن تجزم ؟

أشار بيمينه ، قائلاً :

- لنفس السبب ، الذي أخبرتكم به من قبل .. لأن

الكمبيوتر يتحكم في كل شيء في حياتنا تمامًا ، حتى

أن تدمير شبكته الرئيسية يعنى شل حركتنا عن أي

شيء .. بما في هذا قدرتنا القتالية والدفاعية ،

ولو أن خصمنا يمكنه هذا ، لما تردد لحظة واحدة ..

صحيح أن فيروسه يمكن أن يوصف بالعقري ، في

مجال التسلل والاختباء ، ولكن صناعه يدرك جيدًا

أنه لن يصعد أمام مواجهة مباشرة ، مع البرامج

المتطورة لدينا ، والخاصة بمكافحة الفيروسات

الذكية ، لذا فهو يكتفى بتجنيد كجاسوس للتتصت ،

ونقل المعلومات ، وليس كمسلاح فتاك ، في مواجهة

نظامنا الإلكتروني بأكمله .

بدأت الدهشة مسترحة بالانبهار ، على وجوههم

جميعاً ، وهتفت (سلوى) :

- ربنا ! هذا منطقي تمامًا .

أشارت (نشوى) بمسألتها ، مضيفة :

- إلى أقصى حد .

ثم شنت قاضتها ، على النحو نفسه ، الذى يفعله والدها ، وأكملت فى حزم :

- سأبدأ على الفور .

واستدلت تفادى الحجرة ، وتوجه إلى مكتبها الخاص ، فهتف (أكرم) :

- فكرة عبقرية يا (نور) .

ثم ربت على كتف هذا الأخير فى حرارة ، مستطرذا بكل حماس :

- إنك قادر بالفعل على التصدى لهم .

- نعمم (نور) :

- أشرك .

ابتسم (رمزى) ، قائلاً :

- الواقع أنك عبقرى حقيقى يا (نور) .. وعبقريتك هذه تتفوق حتى على العلم والتكنولوجيا ، وعلى خيرا لهما فى كثير من الأحيان ، فأعظم ما فيها هو أنها عبقرية فطرية ، مدعومة بدراسات وثقافات عديدة ، صقلت روعتها ، وحقت تفكرها ، على نحو مدبش ، قد لا يتكرر فى الجيل بأكملها ..

بدا الخجل والارتباك ، فى وجه (نور) وصوته ، وهو يقول :

- ليس إلى هذا الحد .

هتف (رمزى) فى حماس :

- بل وأكثر من هذا يا (نور) .. لقد هزمت الغزاة بذكائك وحسن تفكيرك ، واستلنا جثثك .. أكاد أتخيل تلك الوجوه الآلية ، عندما يدرك أصحابها أنك قد كشفت أمرهم ، وفضحت جاسوسهم ، الذى تصوروا أنه خط قتلهم الأول ، الذى لا يمكن كشفه قط ، و ...

قاطعه (نور) ، وهو يهتف بقوة :

- يا إلهى !

نطقها ، وعيناه تتألقان على نحو عجيب ، جعل (أكرم) يسأله متوتراً :

- (نور) ! ماذا هناك ؟!

ولكن (نور) دفعه جانباً ، وانطلق يعدو خارج الحجرة ، على نحو اتسعت له عيون الجميع فى دهشة بالغة ..

دهشة بلا حدود .

٤ - المهمة ..

اتعقد حاجبا العالم المسئول عن إطلاق المكوك الفضائي (ابن ماجد) ، في حق غضب ، وهو يقول للدكتور (جلال) في حدة :

- ماذا تعنى بقولك هذا يا دكتور (جلال) ؟! لماذا نعيد برمجة المكوك بالكامل ، وبرنامج يعمل بصورة جيدة للغاية ؟!

وضع الدكتور (جلال) أمامه علبة صغيرة ، تحوى مجموعة الأسطوانات المدمجة الصغيرة ، اللازمة لإعادة برمجة المكوك ، وهو يقول فى صرامة :

- لدى أسبابى -

سأله العالم فى عصبية :

- أية أسباب هذه ؟

أجاب الدكتور (جلال) بنفس الصرامة :

- أسباب أمنية -

ثم أضاف فى سرعة ، قبل أن يلقي الرجل سؤالاً آخر :

- والمفترض أن تتم عملية إعادة البرمجة هذه ، فى غضون ساعة واحدة ، ودون الاستعانة بأية أجهزة إلكترونية خارجية ، مهما كانت أهميتها -
تسعت عينى العالم فى دهشة محزنة ، قبل أن يهتف :

- ما هذا بالضبط ؟! اختبار شفاء ؟!

أجاب الدكتور (جلال) فى برود :

- بالضبط -

ثم ألقى نظرة على ساعة يده ، مستطرداً :

- ولو أردت رأى ، فالأفضل أن تبدأ على الفور ، إذ إن الساعة ستنتهى بأسرع مما تتصور -

اتعقد حاجبا العالم فى حق وغضب ، ولكن الدكتور (جلال) غادر المكان فى سرعة ، دون أن يضيف حرفاً واحداً ..

ولثوان ، ظلت علامات الغضب محفورة فى وجه العالم ، قبل أن يغمغم فى سخط :

- ما الذى يفعلونه بنا ؟! أى تعطلت هذا ؟!

والتقط حقيبة الأسطوانات المدمجة ، وهو يستطرد :
- كل مرة تقفز إلى أذهانهم وسائل تعذيب سخيفة ،

وعندما تسألهم عما يعنونه ، يجيبونك بأنها أسباب
أمنية .

وهذا رأسه في قوة ، وهو يجذب جهاز الكمبيوتر
الجديد ، الذي أحضروه إليه ، مغففاً في سخرية
عصبية :

- أيها الأمن . كم من المهائل ترتكب ياسعك .
أشعل جهاز الكمبيوتر الجديد ، وطالع واجهته
الخالية بضع لحظات ، قبل أن يقول في حدة :
- أية سخافة هذه ؟! المفترض أن أقوم ببرمجة
هذا الكمبيوتر الجديد أولاً ، ثم أستخدمه لإعادة
برمجة الميكو .. أي تعقيد هذا ؟!

ثم أدار بصره إلى الكمبيوتر التقليدي ، على قيد
خطوات منه ، وابتسم في حث ، وهو يضيف :
- ولكن هناك وسائل أكثر سهولة حتماً .
قالها ، وابتسامته الخبيثة تتسع أكثر ..
وأكثر ..
وأكثر ..

* * *

« كل شيء سيُسَير على ما يُرام بإذن الله ،
ما دامت برامج الميكو كلها جديدة .. »

نطق الدكتور (جلال) عبارته في ارتياح واضح ،
قبل أن يلقي جسده على أقرب مقعد إليه ، في حجرة
القائد الأعلى ، مستطرداً :

- مع إعادة برمجة الميكو (ابن ماجد) ، سينتهي
أمر جاسوس الغزاة تماماً ، وسيتمكن (نور) وفريقه
من الانطلاق في رحلتهم ، دون أن يكشف خصومنا
الآليون أسرهم ، ويطاردهم عبر الكون الفسيح .
تتهجد القائد الأعلى - وهو يتراجع في مقعده ،
ويشك أصابع كفيه أمام وجهه ، قائلاً :
- هل تعتقد أنه هناك أمل ؟!

صمت الدكتور (جلال) بضع لحظات ، قبل أن
يجيب في خفوت :
- لست أرى .

ثم نوح بذراعه كلها ، مستطرداً :
- لا أحد يدري .. لا أحد يمشي الجزم .. الأسفل
الوحيد لدينا هو أنهم سينطلقون في رحلتهم ، تحت
ألف الغزاة ، الذين لن يعلموا بوجهتهم هذه المرة .

بعد إيفاد مفعول جاسوسهم الإلكتروني الصغير ،
المتغلغل في كل نظامنا .

سأله القائد الأعلى في قلق :

- وماذا لو علموا ؟

مط الدكتور (جلال) شفتيه ، وهز رأسه في قوة ،
قائلاً :

- ستكون كارثة .

ثم التفت نفساً عسيقاً ، وكأنما يحاول تهدئة أعصابه
والفعالاته ، قبل أن يتابع :

- فلو علم الغزاة بوجهة فريقنا ومهمته ، سيجن
جنونهم الآلى ، وسيسعون لمنع اكتمال المهمة بأي
ثمن .

تمتم القائد الأعلى :

- أي ثمن ؟

أوما الدكتور (جلال) برأسه إيجاباً ، وأكد :

- نعم .. بأي ثمن ، ففجأح مهمة (نور) وفريقه
يعنى أن يُلحق طريقهم إلى عالمنا إلى الأبد ، مما
يعنى بالتبعية فشل جملة الغزو ، وهذا ما لن يمكنهم
احتماله قط .

تمتم القائد الأعلى ، وكأنما يحدث نفسه :

- إليهم أليون .

أشار الدكتور (جلال) بשיابته ، قائلاً في حزم :

- أليون مفكرون .. لا تنس هذا أبداً .. ولديهم

أيضاً هدف عجيب ، ألا وهو القضاء على كل صور

الحياة بلا رحمة ، في أي عالم يبلغونه ؟

هز القائد الأعلى رأسه ، مخمفماً :

- الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، لماذا يسعون

لهذا الهدف الدموى البغيض .

ثم اعتدل ، مستطرذاً في توتر :

- ولكنك لم تخبرنى ، ما الذى تتوقعه ، لو علم

الغزاة بمهمة (نور) وفريقه ؟

عاد الدكتور (جلال) يمحط شفتيه ، سجيناً :

- أبسط ما يمكن قطه ، هو أنهم سيهاجمونهم ،

عند مدخل طريق النجوم إلى عالمنا .

وصمت لحظة ، ثم تابع بصوت مرتجف :

- ويسحقونهم سحقاً .

خفق قلب القائد الأعلى في عصف ، مع سماعه

العبارة الأخيرة ، وعاد يتراجع في مقعده بمنتهى

البطء ، متمتماً :

- يا إلهي ! أنت على حق يا رجل .. ستكون
كارثة ، كارثة رهيبية ..
وعاد قلبه يخفق بقوة أكثر ..
ويغف بلا حدود ..

ضغطت (تشوى) زر زر جهاز الكمبيوتر الخاص بها
في سرعة وحماس ، وهي تعد برنامجها الخاص ،
للقضاء على فيروس الغزاة ، داخل شبكة الكمبيوتر
الرئيسية . وتمتعت في الفعل :
- هيا أيها الجاسوس الحقير .. اقض لحظتك الأخيرة ،
فيضغطة زر واحدة ، سينتهي أمرك إلى الأبد ..
وارتفعت سيابتها ، واستعدت لضغط الزر الأخير ،
وهي تصيف :

- وداعاً أيها الحقير .

وانخفضت سيابتها نحو الزر ، و ...
وفجأة ، اقتحم (نور) الحجرة في عنف . واندفع
نحوها كالصاروخ ، فتراجعت مذعورة ، وهي تهتف :
- أهي ؟ ماذا ؟

قبل أن تتم عبارتها ، وثب (نور) نحوها ، وكنم

فمها بيده ، وهو يدفعها بعيداً عن جهاز الكمبيوتر
الخاص بها ، على نحو أسقطتهما معاً أرضاً ، في
نفس اللحظة التي وصلت فيها (سلوى) إلى المكان .
هاتفة :

- (نور) ؟ ماذا هناك ؟! كيف ...

أشار إليها (نور) بالصمت في صرامة ، وهو
يحمل ابنته ، ويدفعها إلى التهوؤ ، دون أن يرفع
كفه عن فمها ، فأتسعت عيناها في ارتياح ، تضاعف
وهو يدفعها أمامه ، إلى خارج الحجرة ، و (أكرم)
يتساعل في حيرة عصبية :
- ماذا حدث بالضبط ؟!

واصل (نور) اندفاعه مع ابنته ، نحو مقر الفريق ،
وهو يشير للجميع بالصمت ، حتى بلغ المقر ، فرجع
يده عن فم ابنته ، هاتفاً :
- أخيراً !

أسرع (رمزي) يحتوى زوجته بين ذراعيه ،
وهو يهتف مستكراً :

- ماذا تفعل بالضبط يا (نور) ؟!

لهفتت (نشوى) فى الافعال ، وهى تجيب سؤال زوجها :

- أنا أعلم ماذا كان يفعل ؟!

بدا الارتياح على وجه (نور) ، وهو يضعف :
- حمدا لله .

التفتت العيون كلها إلى (نشوى) فى تساؤل ، فتابت بنفس الافعال :

- أولاد أن يمنعنى من القضاء على الجاسوس الإلكتروني .

فجر جوابها دهشتهم أكثر ، فهتف (أكرم) :
- ولكن لماذا ؟! أليس هو من طالبك بالقضاء عليه ؟!

أجاب (نور) هذه المرأة :

- ومن حسن الحظ أن انتهت إلى خطأ هذا ، فى الوقت المناسب ..

سأله (رمزى) فى حيرة :

- أى خطأ ؟!

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

- أنت بالتحديد تبهتلى إليه يا (رمزى) .



قبل أن تتم حاراتها ، وثب (نور) نحوها ، وكتم قمعها بيده ، وهو يدفعها بعيداً عن جهاز الكمبيوتر الخاص بها ..

هتف (رمزي) في دهشة :

- أنا ؟

أوما (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم يا (رمزي) .. أنت .. عندما أشرت إلي

ما ميصيب الغزاة ، عندما يدركون أنني قد كشفت

أمرهم .

تسأل (أكرم) :

- وماذا في هذا ؟

أجابه (نور) في حزم :

- لقد اتبعت عندئذ إلى أن معرفتهم لما حدث

ستفضيهم ، لو أنهم أصحاب عقول حية مفكرة ،

ولكن المشكلة هي أنهم عقول آلية بحتة ، لذا فما

إن يغشوا ما حدث ، حتى ينتقلوا أليًا إلى الخطوة

التالية ، التي قد تكون انتقالهم إلى جاسوس آخر

بديل ، نجهل كل شيء عنه ، أو يلجئون إلى ضربة

عقابية ، تضيع معها عشرات الأرواح ، وتراق لها

أنهار من الدم .

ثم أشار بسبابته ، قبل أن يضيف :

- الأكثر خطورة وأهمية ، هو أن جهلهم بما

عرفناه ، يمنحنا فرصة نادرة لاستغلال معارفنا هذه ،

إلى أقصى حد .

سألته (ملوى) في لهفة :

- كيف ؟

أجاب في سرعة ، وهو يبتسم ابتسامة خبيثة :

- بأن نتظاهر بجهلنا لوجود ذلك الجاسوس

الإلكتروني ، وننقل إليهم ما نريد نحن أن يعلموه

فحسب .

تألفت عينا (أكرم) ، وهو يهتف :

- آه .. فهمت .. نفس اللعبة القديمة .. ستجد

جاسوسهم ضدهم ، دون أن يدرك أو يدركوا ..

سنصنع منه جاسوسًا مزدوجًا ، نوجه من خلاله

ضرباتنا إليهم ..

هتف (نور) :

- بالضبط .. سنتحدث من خلال سيناريو مدروس

لننقل إليهم جاسوسهم ما يوحى بروح انتقامية ،

ورغبة قوية في الاستسلام .

أشار (رمزي) بسبابته ، قائلاً :

.. ليس بصورة مبالغه ، والا أدركوا الخدعة ، فمن
المؤكد أن لديهم دراسة كافية عن شخصياتنا .

أجابه (نور) :

.. فليكن .. عليك أنت بإعداد السيناريو ، ولكن في
خلال دقائق معدودة ، فمن الضروري أن ننقل إليهم
الصورة التي نريدها كاملة ، قبل أن نطلق خلفهم .

قال (رمزي) في حماس :

.. اطمئن يا (نور) .. سأبذل قصارى جهدي .

ثم تنهَّد في قوة ، وابتسم ، قائلاً :

.. ألم أقل لك : إنك عبقري يا (نور) ؟! ما فعلته الآن

يعني أن تاريخ عالمنا قد اتخذ مساراً جديداً بالفعل ،

تعتزم أن يكون أفضل من ذلك العالم الآخر ، و ..

يقول أن يتم عبارته ، اتبع ذلك الضجيج بقتة ..

ويعتني القوة ..

وارتج المكان كله في عصف ..

صاف يوحى بأنه من المحتمل أن يكون مصير

عالمهم أسوأ ..

بكثير ..

كل شيء هادئ في (الإسكندرية) ..

كل شيء ..

الحياة تسير على الوتيرة نفسها ..

الناس منهمكون في أشغالهم وأعمالهم ..

السيارات تقطع طريق الكورنيش بسرعة ..

المارة يتهاونون في بساطة ، و ..

وفجأة ، اتبع ذلك الضجيج ..

اتبع بقتة ، كما لو أن معركة حامية الوطيس قد

نشبت فجأة خلف السحاب ..

وبدهشة تمتزج بالرعب والغزع ، ويتساؤل حائر

مذعور ، ارتفعت عيون الجميع إلى أعلى ..

وفي اللحظة نفسها ، انشقت السماء ..

أو هكذا خيل للكل ..

لقد ظهرت فيها بقتة ثغرة سوداء واسعة ، اندفعت

عبرها خمس مقاتلات عجيبة الشكل ، أشبه بمسرب

من النحل العملاق ، انقضت في عصف وشراسة ، على

كل ما يسير على الأرض ..

المركبات ..

السيارات ..

الدراجات البخارية ..

الحيوانات ..

وحتى البشر ..

و ..

وفجأة ، برزت سبع مقاتلات أرضية مصرية ..

واقضت على مقاتلات الغزاة ..

وانطلقت حزم الليزر تشق السماء ..

ولكن مقاتلات الغزاة ، اتبعت التكنولوجيا نفسه ..

مقاتلتان منها انقضت على مقاتلتنا ، وتبادلت

معهما إطلاق النار في علف ..

ومقاتلتان انقضتا على المركبات ..

والسيارات ..

والبشر ..

أما المعادلة الأخيرة ، فقد انخفضت بسرعة

مدهشة ، حتى سارت فوق رؤوس العارة المدعورين

تماماً ، ثم انطلقت إلى الجنوب الغربي بسرعة مخيفة ..

وانطلقت صرخات رعب هائلة ، والجميع يحدون

في كل الاتجاهات ، وكأنها أتت من قلب الجحيم ..

وانطلقت السيارات تحاول الفرار ..

وعوت الحيوانات مذعورة ..

وانهمرت حزم الليزر ..

وسحقت السيارات ..

وأبادت البشر ..

واسقطت اثنتين من مقاتلتنا ..

ولكن التسور الخمسة الباقين انقضت ..

وهاجمت ..

وانطلقت حزم الليزر ..

واقفجرت مقاتلات الغزاة ..

ولهُوت ..

مقاتلتان سقطتا محطمتين ، في نفس اللحظة التي

انطلقت فيها الأخريان إلى أعلى ..

والشق ذلك الثقب الأسود ثمانية ..

وانطلقت المقاتلتان نحو ..

ولكن حزمة من أشعة الليزر ، أطلقها أحد تسورتنا ،

سحقت إحدى المقاتلتين ، قبل أن تبلغه ..

ونجحت الثانية في تجاوز ..

ثم اختفى الثقب ..

وتلاشى الضجيج دفعة واحدة ..

وبخلاف صوت مقاتلاتنا ، وهى تحوم فى السماء ،
سك هدوء عجيب ..

وعلى الرغم من انقصارنا ، فى تلك المواجهة
الجوية الأولى ، كان لذلك الهدوء رائحة مخيفة ..
رائحة الدم ..

والموت ..

* * *

« (الإسكندرية) .. (المنيا) .. (بنى غازى) ..
(الرباط) .. (مارسيليا) .. (نابولى) .. (منشستر) ..
(بكين) .. (ليننجراد) .. (سيدنى) .. (بيروت) ..
(بوينس آيرس) .. (البرازيل) .. (واشنطن) ..
(لوس انجلوس) .. كلها تلقت الضربة نفسها ، فى
نفس اللحظة ، بنفس الترتيب الذى جاء به شبيهاك
يا (نور) ، مع اختلاف الزمن ، وحجم الخسائر ،
وعدد المقاتلات .. »

نطق الدكتور (جلال) الكلمات فى توتر بالغ ، وهو
يتنقل بسبابته على خريطة العالم ، قبل أن يتابع :

- ولهى كل المواقع لم تستغرق المواجهة سوى

ثلاثين ثانية فحسب ، انسحبت بعدها المقاتلات الناجية ،
بعد أن أبركت أننا كنا تعلم مواقعها ونقاط هجومها ،
ونلتظرها مستعدين ، وليس كما حدث فى ذلك العالم
الآخر .

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :
- المفترض أنهم لا يعلمون تفاصيل ما حدث فى
العالم الآخر .

أشار الدكتور (جلال) بسبابته ، قائلاً :
- ولكنهم يعلمون أننا تعلم .
لوّح القائد الأعلى بذراعه ، قائلاً :
- وحتى لو كانوا يجهلون ، فقد علموا الآن ..
ليس من المنطوق أن ننظرهم عند كل نقاط
الهجوم ، دون أن تكون لدينا خريطة كاملة لمواقع
هجومهم .

مط (نور) شفطيه ، مخمفاً :
- للأسف .

التفت إليه الرجلان فى دهشة ، وهتف القائد
الأعلى مستنكراً :
- للأسف !

أجابته (نور) في حزم :

- للأسف أنهم يعلمون أننا نعلم ، فهذا سيدفعهم
حتماً إلى تغيير خططهم ، وتعديل استراتيجيتهم ،
واقتفاء مواقع جديدة للهجوم ، لا نعلم عنها شيئاً ،
ويمكنهم منها تكييلنا خسائر جمة ، تشير المزيد من
الذعر والانهيار .

تبادل الرجلان نظرة متوترة ، وقلب الدكتور
(جلال) كفيه ، قائلاً :

- ما بالكبد حيلة ؟

تمتم (نور) :

- بالتأكيد .

ثم ألقى نظرة على ساعته ، مضيقاً :

- كل ما أرجوه الآن هو ألا يكون هذا قد دفعهم إلى
تغيير موقعهم ، أو إقامة نقاط حراسة قوية ، على
مدخل طريق النجوم إلى عالمنا !

هز الدكتور (جلال) رأسه في قوة ، قائلاً :

- لن يكون عندهم الوقت الكافي لهذا .. ثم إتهم لن
يعلموا وجهتهم أبداً ، بعد إعادة برمجة المكوك (ابن
ماجد) ، والقضاء على جاسوسهم الإلكتروني داخله .

عاد (نور) يلقي نظرة على ساعته ، مضيقاً :

- فلننتقل إذن في موعدنا تماماً .

تراجع القائد الأعلى في ساعده ، قائلاً بصوت
مبحوح ، من فرط الانفعال :

- اطلقوا يا بني ، على بركة الله .

نطقها ، وقلبه لا يشعر بالارتياح أبداً ..

ففي جزء ما من أعماقه ، كان لديه شعور بأن
الأمور لا تسير على ما يرام ..

وأنه من المحتمل أن يتطلق أفراد الفريق في
رحلتهم ..

ثم لا يعودوا منها ..

أبداً ..

ومهما كانت النتائج ..

« من المكوك (ابن ماجد) إلى القاعدة الأرضية ..

كل شيء على ما يرام ، ونحن نستعد للانطلاق ، فور

انتهاء العد التنازلي .. »

نطق (نور) عبارته في حزم ، وهو يضغط زرور

المكوك ، فاستقر كل من رفاهه على مقعده ، وأحكم

رباط حزامه ، وحبسوا جميعاً أنفاسهم ، والعبد
التنازلى يقترب من الصغر ، فى نفس الوقت الذى
ينبعث فيه صوت الدكتور (جلال) ، عبر جهاز
الاتصال ، وهو يقول :

- من القاعدة إلى المكوك (ابن ماجد) .. قلوبنا
معكم .. هيا .. انطلقوا على برعة الله .

ومع آخر حروف كلماته ، اشتعلت المحركات
التهائية للمكوك ..
وانطلق ..

ومع انطلاقه ، خفقت قلوب الجميع فى عنف ..
حتى (نور) ..

ودوت فى أذانهم فرقة مكتومة ، مع قشعريرة
باردة كالثلج ، سرت فى أجسادهم ، ورياح ساخنة
كالجحيم ، هبت فى وجوههم ..
وفى لحظة واحدة تقريباً ، قفزت إلى أذهانهم صور
مختلفة ..

(أكرم) تساءل : هل سيمنحهم العودة سالمين ،
بعد أن يتنوا مهمتهم .

و (سلوى) انكمشت داخل نفسها فى خوف ،

وذهنها يرسم ألف صورة وصورة ، لذلك الإمبراطور
الآتى العملاق ، فى سفينة الغزاة ..

و (نشوى) راحت تعيد كل حساباتها ، الخاصة
بالرحلة ، وذلك الحاسوب الإلكتروني العجيب ..

و (رمزي) تساءل فى قلق : هل انفصل تاريخ
العالمين حقاً ؟!

أما (نور) ، لحى تلك اللحظة ، وبينما ينطلق بهم
مكوك الفضاء (ابن ماجد) ، عبر طريق التجوّم ،
راح ذهنه يراجع الأسئلة ، التى ألقاها عليه شبيبته
المعتوس ..

وانطلق عقله يبحث عن الأجوبة ..

كل الأجوبة ..

ولكن الوقت لم يمنه ..

ف فجأة ، وثب بهم المكوك إلى الفضاء الخارجى ..

إلى نقطة تبعد سنة ضوئية كاملة عن أرضهم ..

ولثوان بذت لهم الصورة كلها مرتبة مشوّشة ..

ثم اتضحت نفعة واحدة ..

وأمام أعينهم ، وإلى مدى البصر ، امتد الفضاء

اللاتهاى ..

هاتنا ..

خاليا ..

سرمديا ..

وفي خفوت ، وكأنما يخشى أن يفسد الصمت
والهدوء ، تمتم (أكرم) :

- هل وصلنا ؟؟

أجابته (نشوى) ، وهي تراجع بيانات الكمبيوتر
في سرعة :

- نعم .. إنها نقطة الدخول الرئيسية إلى عالمنا ..

تلقت (رمزي) حوله ، مغفماً :

- عجباً ! كنت أتصور أننا سنجد الغزاة هنا .

هزت (سلوى) رأسها ، وهي تعزل على جهاز
الذبيات الفالقة ، قائلة :

- لست أقلهم بهذا الغباء .. ألم تقرأ مذكرات شيبه

(نور) ؟؟ إنهم يعمتون في نقطة أخرى ، في شعبة

طريق التجوّم ، ولا يتّوّن إلى نقطة الهجوم إلا في
اللحظة المناسبة فحسب .

تمتم :

- فهمت .

واصلت (سلوى) عملها في سرعة ، وهي تقول :

- أعتقد أن أفضل ما تفعله الآن هو أن تبدأ عملنا

على الفور ؛ لإغلاق طريق التجوّم هذا في وجه الغزاة .

سألها (أكرم) في توتر :

- ماذا ستفعلين بالضبط ؟؟

أجابته في انفعال :

- مهمتي أن أصل بالذبيّة إلى الدرجة المطلوبة ،

وعلى (نشوى) أن تتابع الذبيّة ، حتى تبلغ اللحظة

المناسبة ، ليتم إيقافها على نحو حرج .

سألها في عصبية :

- وماذا سيحدث عندئذ ؟؟

فرقع (رمزي) سيابته وإبهامه ، قائلاً :

- سيفلق طريق التجوّم على الفور .

أزرد (أكرم) لعابه ، مغفماً :

- وماذا عنا ؟؟

سألته (سلوى) :

- ماذا تعني ؟؟

أشار بيده ، قائلاً في عصبية :

- أعني ما موقفنا ، في اللحظة التي سيتم فيها

إغلاق طريق التجوّم ؟؟ في أي جانب ستكون عندئذ .

تبادل (نور) و (ملوى) و (نشوى) نظيرة
متوترة ، قيل أن تجيب (نشوى) :

- فى نفس اللحظة ، التى سنبدا فيها خطوتنا
الأخيرة ، سنطلق غير أسطوانة صوتية خاصة ، فى
محاولة للعودة إلى عالمنا .

سألها (رمزى) :

- وما احتمال نجاحنا فى هذا ؟؟

ترددت لعبها ، قيل أن تجيب فى عصبية :
- ليس كبيراً .

سألها (أكرم) فى حدة :

- كم ؟؟

ترددت لعبها مرة أخرى ، وانخفض صوتها
كثيراً ، وهى تجيب :

- واحد فى المائة .

تراجع (رمزى) بحركة حادة ، واتسعت عينها
(أكرم) عن آخرهما ، والعقد حاجبها (نور) فى
شدّة ، وهو يقول :

- لقد اطلقنا ، وجميعنا يعلم أنها مهمة التخارية ..

أليس كذلك ؟؟

نتم (أكرم) :

- بالتأكيد .

ثم أشار إلى (نشوى) ، قائلاً :

- هيا .. واصلى عملك ، على بركة الله (سبحانه
وتعالى) ..

ضغطت (نشوى) أزرار الكمبيوتر فى سرعة ،
وغصمت :

- يمكنك إطلاق النذبة بعد عشر ثوان ، أو ...

بترت عبارتها بقّة ، وهى تطلق شهقة قوية ،
جعلت الجميع يهتفون فى آن واحد :
- ماذا حدث ؟؟

تراجعت بدورها ، وهى تشير إلى الكمبيوتر ،
هاتقة :

- أليس من المفترض أن أجهزة المكوكل كلها تمت
إعادة برمجتها ثانية .

قال (نور) فى توتر :

- بالتأكيد .

ارتجفت سيّاتها المشيرة إلى الكمبيوتر ، وهى
تقول :



ارتجف صوتها مع سيّبتها هذه المرة ، وهي تجيب :
- الجاسوس -

- ولكنه هنا :

سألها (أكرم) ، في قلق حائر :

- من هو ؟

ارتجف صوتها مع سيّبتها هذه المرة ، وهي

تجيب :

- الجاسوس -

ومع آخر حروف كلماتها ، ارتجّ المكوك كله في

عنف ..

ثم التفت الفضاء عن المقاتلات ..

عشر من مقاتلات للغزاة دفعة واحدة ، أصابته

بالمكوك ، والتفتت إليه بكل أسلحتها ..

وكل شراستها ..



٥ - أسرى الفضاء ..

مسحت (مشيرة محفوظ) : صحفية أبناء الفيديو الشهيرة دموغاً ، بدأت تنحدر من عينيها ، وهي تقف في موقع المذبحة ، على مورنيش (الإسكندرية) ، وتمسك (ميكروفون) البث بيد قوية مرتجفة ، قائلة :
- سيداتي سادتي .. شاهدوا (أبناء الفيديو) في كل مكان .. إننا نتحدث إليكم من ساحة القتال .. معزة .. من المذبحة التي صنعها غزاة الفضاء بمواطنينا الأبرياء .. غزاة الفضاء .. دعونا نتوقف طويلاً عند هذا المصطلح !! أهذا بالفعل من عمل غزاة فضائيين ؟! هل تواجه الأرض شبح احتلال جديد ؟! هل سنحيا مرة أخرى ذلك الجحيم ، الذي لم تتلاش آثاره عليها بعد ؟! ها هي ذى (القاهرة) القديمة ، على بعد أمتار قليلة منا ، شاهدة على ما قطع بنا غزو سابق .. حتى بعد رحيل الغزاة .. صدقوني .. إننى أشارككم الرعب نفسه .. لا يمكننى أن أتصور ما يمكن أن يحدث ، لو بلينا بغزو جديد .. لا يمكننى أن أتخيل ..

« لقد توقف البث ... »

ارتفع صوت مساعدتها بالعبارة ، فى عصبية شديدة ، فاعتقد حاجباها فى تأثير شديد ، وهي تهتف :
- ماذا تضى بأن البث قد توقف ؟! من جبراً على إيقافه ؟!

اتفرجت شفتا مساعدتها ليجيب السؤال ، ولكن صوتاً صارماً تبعث من خلفه ، يقول :
- أنا .

أدارت عينيها فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ثم اعتقد حاجباها فى شدة ، عندما وقع بصرها على رجل ممشوق القامة ، عريض المنكبين ، حاد القسمة ، تقدم نحوها ، وهو يقدم نفسه فى صرامة ، قائلاً :
- السيد (أشرف لبيب) .. من هيئة الأمن القومى .

قالت فى عصبية :

- تشرقنا .. والآن لماذا أوقفت البث ؟!

أجابها فى برود لا يخلو من الحزم :

- أمن الدولة يحتم هذا .

صاحت فى غضب :

- أمن الدولة ؟؟ أى أمن ولاية دولة ؟؟ وما صلة
أمن الدولة بما نقول ؟؟ إنما نصف حالة يعرفها
الجميع ..

أجاب فى صرامة :

- بل تتقنون صورة بشعة للمواطنين ، على نحو
يكفى لإصابتهم برعب هائل ، نحن فى غنى عنه ، فى
هذه الظروف .
هتفت محتقة :

- نفكر ماذا ؟؟ لو أنك لا تعلم فالأمر لم يعد بحاجة
إلى نقل أية صورة يا هذا .. إنه حدث عالمى .. كل
قارة فى العالم أصابها ما أصابنا ، وكلها تبث ما حدث .
غير أقمار صناعية ، تنقله إلى العالم أجمع ، فلماذا
تتخلف عن الركب .

صاح فى صرامة شديدة :

- أى ركب يا سيّدة (مشيرة) ؟؟ إنما ..

قبل أن يتم عبارته ، اتبعث أزيز جهاز الاتصال
لخاص فى جيبه ، فالتقطته فى سرعة ، قائلاً :

- العميد (أشرف لبيب) :

اتعقد حلجياه ، وهو يستمع إلى محادثه فى اهتمام ،
ثم احتقن وجهه ، وهو يتعمق :

- ولكن يا سيّدى ..

بسر عبارته مرة أخرى ، وازداد احتقان وجهه
أكثر ، وهو يقمقم :

- كما تأمر يا سيّدى .. كما تأمر ..

قالها ، واتعقد حلجياه فى غضب أكثر ، وهو يعيد
جهاز الاتصال إلى جيبه ، ويلتفت إليها ، قائلاً فى
حق :

- فليكن يا سيّدة (مشيرة) .. يمكنك مواصلة
عملك ..

انفجر فاجأ دهشة ، وهي تسأله :

- ماذا حدث ؟؟

لوح بذراعه هاتفاً ، وهو يغادر المكان فى
عصية :

- سليلهم فى القيادة ؛ فهم الذين أصدروا الأمر
بهذا ..

هتفت :

- حقاً ؟؟

لم يجب تساؤلها ، وهو يقب فى سيارته ، ويتطلق
بها متبعداً ، فلوحت هى بذراعها لمساعدتها ، هاتفة :

- هيا يا رجل .. أعد البث .

ضغط بضعة أزرار ، ثم أثار إليها بإبهامه ،
فهمت عبر الميكروفون :

- سيداتي سادتي .. هنا (مشيرة محفوظ) ،
نعود إليكم من موقع الأحداث ، بعد انقطاع قصير ،
خارج عن إرائتنا .. وصدقوني أيها السيدات والسادة ،
فعلى الرغم من كل ما حدث ، ومن عشرات القتلى
والمصابين ، الذين أسفرت عنهم المواجهة الأولى
مع الغزاة ، إلا أن ما حدث ، خلال فترة الانقطاع
القصيرة ، يؤكد أننا على مشارف عصر جديد ..
عصر صرنا فيه أقرب إلى التصور .. ألف مرة .

قالت لها على نحو انتفضت معه قلوب كل سكان
الأرض ..

وولدت معه ثورة جديدة في الأعماق ..

ثورة مفعمة بالحماس ..

والأمل ..

* * *

اتهمك العالم الممنون عن الممكوك (ابن ماجد) ،
في مراجعة بعض أوراقه ومستنداته ، وملفاته

المخزنة على الكمبيوتر ، واستغرقه هذا تماماً ، حتى
إن جسده كله قد انتفض في عنف ، عندما أثار صوت
الدكتور (جلال) من خلفه ، متسائلاً :

- أما زلت تستخدم جهاز الكمبيوتر القديم ؟!

استدار في سرعة إلى مصدر الصوت ، وانتفض
نفساً عميقاً لتهدئة أعصابه ، قبل أن يهتف :

- دكتور (جلال) ؟! لقد أفرغتني .

كرّر الدكتور (جلال) سؤاله في صرامة :

- لماذا تستخدم الكمبيوتر القديم ؟!

هزّ العالم كتفيه في ارتباك ، مجيباً :

- لقد اعتدت استخدامه ، ثم إنه يحوى عشرات
البرامج والـ ..

قاطعه الدكتور (جلال) في حدة :

- قل لي يا رجل : هل استخدمت هذا الكمبيوتر ،

في إعادة برمجة الممكوك (ابن ماجد) .

تردد الرجل لحظة ، قبل أن يجيب :

- الواقع أن ..

صاح به الدكتور (جلال) :

- هل استخدمته أم لا ؟!

أوردته العالم لعابه في توتر ، وقال :

- لقد أردت إنجاز العمل بسرعة أكبر ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، انقض عليه الدكتور (جلال)
في عنف غاضب ، وجذبه من سترته ، ليرفعه عن
الأرض بمقدار عشرة سنتيمترات ، ويلصقه بالجدار
في قوة ، وهو يصرخ في وجهه :

- أيها التنس .. ألا تدرك ما فعلته .. ألا تدرك أية
مصيبة تسببت فيها .

اتسعت عينا العالم في هلع ، وهو يهتف :

- كان الوقت ضيقاً ، و ...

قائله بصيحة هادرة :

- أي وقت أيها التنس ؟! أي وقت ؟! إنك لا تدرك

ما فعلته بإهمالك وتجاهلك الأوامر على هذا النحو ..

ثم تركه يسقط أرضاً ، وهو يضيف في مرارة :

- لقد تسببت في إفساد وتدمير آخر أمل لنا ، في

مواجهة ذلك الغزو الرهيب .

اتسعت عينا الرجل ، في هلع أكثر ، وهو يردد ،

وقد أدرك فداحة ما فعل :

- يا إلهي ! يا إلهي !

هز الدكتور (جلال) رأسه في حدة ، قائلاً :

- ادع الله على الأقل ، أن يعيد إلينا خيورة
شبابنا ، الذين وضعهم إهمالك في موقف بالمر
رهيب .

غمغم العالم ، وهو ينهض من سقطته :

- اتقصد (نور) وفريقه ؟! ولكنك لم تجيبهم أبداً ..

لقد أخبرتني أكثر من مرة أنك تفيض غرورهم ،
وإحساسهم الزائف بالتفوق ، و ...

هوى الدكتور (جلال) على وجهه بلعنة قوية
مباغثة ، وهو يصرخ :

- أيها الغبي .

اتسعت عينا العالم في ذهول ، وهو يتراجع في
عنف ، ورأسه يرتطم بالجدار خلفه ، قيل أن يسقط
فاقد الوعي ..

وبكل مرارة الدنيا ، أخفى الدكتور (جلال) وجهه
بين كففيه ، متمتماً في مرارة :

- ساعدكم يا إلهي ! ساعدكم .

وهز رأسه في قوة ، مستطرداً :

- ساعد الأرض كلها .

وبعد قوله هذا ، اختلقت الكلمات في خلقه ..
بثقة ..

* * *

خلفت قلوب الجميع في عنف ، عندما أحاطت بهم
مقاتلات الغزاة ، وخيل إليهم أن خيوط الليزر ستلهال
عليهم من كل صوب ، دون شفقة أو رحمة ، كما
أثبتتهم مذكرات شبيه (نور) ، و ...
ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ..

لقد أحاطت بهم مقاتلات الغزاة ، الشبيهة بالنحل
العسلي ، وتوقفت حولهم في الفضاء ، دون أية
بادرة للهجوم ، فغمغم (أكرم) في عصبية :

- ما الذي يسعى إليه هؤلاء الأوغاد بالضبط ؟
إرهابنا ؟

أشار إليه (نور) ، قاللاً :
- بل أكثر من هذا بالتأكيد ، فقد توقفت كل أجهزة
المكوك ..

تسعت عيونهم في ارتياح ، وهتف (رمزي) :

- رباه ! أتعلمون ما الذي يعنيه هذا ؟
لم يعلق أحدهم على سؤاله ، فتابع في حزم عصبى :

- إنهم سيعيدون ما فعله أقرانهم ، في العالم
الآخر ..

ومع آخر حروف كلماته ، بدأ المكوك يتحرك ،
وسط المقاتلات المحيطة به ، نحو ثغرة بدأت تتكون
في الفضاء ، فتنبئت (نشوى) بزوجها ، هاتفة :
- (رمزي) .. ماذا سيفعلون بنا ؟

ضمها إليه في قوة ، مجيئاً :

- لست أرى يا حبيبتي .. لست أرى ..

ثم انعقد حاجباه في شدة ، وهو يضيف :

- ولكن أخذاً لن يعم شجرة واحدة منك بسوء ،
ما لمت على قيد الحياة ..

واتنفص جسدها الضليل بين ذراعيه ، عندما نطق
بعبارة هذه ..

لقد استعاد ذهنها ما نقله إليهم (نور) العالم
الآخر ..

وفي أعماقها ، هتفت :

- المهم أن تظل على قيد الحياة ..

ومع هتافها ، الذي لم يسمعه أحد ، عبر المكوك
تلك الثغرة الفضائية ، محاطاً بمقاتلات الغزاة ..

وعلى الرغم من أن الكل كانوا يتوقعون ما سيواجههم ، فقد اتسعت عيونهم جميعاً في انبهار ، وهم يحدقون فيما أمامهم ..

فعلى الرغم من اتساع الفضاء ولا نهائيته ، بدت سقينة الغزاة أمامهم هائلة إلى حد مخيف ، لا يمكن تخيله ..

كيان هائل عملاق ، في حجم كوكب كامل ، يسبح في الفضاء ، مخاطباً بأعداد مهولة من المقاتلات ، يشاد بيثغ السليون مقاتلة ، على أدنى تقدير ..

وتشوان ، لم يقم أحدهم ببنت شفة ، والمكوك يسبح ، مخاطباً بمقاتلات الغزاة ، نحو فجوة مضادة ، في سقينة الغزاة ، التي تتكون من عدة كرات معدنية عساقية ، تربطها ممرات ضخمة بعضها ببعض ، على نحو يبدو لا نهائي ..

وفي خفوت ، تتمم (نور) :
- من الواضح أن الزاوية التي نطلق بها ، تتيح لنا رؤية أفضل لسقينة الغزاة ، فنحن نرى تفاصيل لم نذكرها شبيه قط ..

غمضت (سلوى) :

- أو أنها سقينة أخرى ..

اتفقد حاجباه في شدة . وهتفت (تشوى) مدعورة :

- سقينة أخرى ؟! أمن الممكن أن تكون هناك

سقينة أخرى ، بهذا الحجم الهائل ؟!

بدا (أكرم) شديد العصبية ، وهو يقول :

- الآن أصبحت أعتقد أن كل شيء ممكن ..

تتمم (رمزي) :

- صدقت ..

وفي بضع عجب ، ووسط صفين من المقاتلات الفضائية ، راح مكوك الفضاء الأرضي ينساب ، نحو تلك الفجوة المضيلة ، التي بدأت ملامحها تتضح أكثر وأكثر ، وبدأ داخلها ممر واسع مصقول ، يمتد إلى مسافة كبيرة ، ويتسع لهبوط عشر مقاتلات متجاورة ..

وفي نعومة مذهلة ، عبر المكوك ذلك الممر ، وراح ينطلق فيه لمالتي متر تقريبا ، تحيط به مقاتلات الغزاة ، حتى بلغ مساحة واسعة ، تتوسطها دائرة كبيرة ، هيئ وسطها تماما ، قبل أن ينبعث من أجهزة اتصاله صوت عجب ، أشبه بطرقات معدنية ، جعل (أكرم) يتمم في حدة :

- ما هذا بالضبط ؟؟ هل سيأتى الإمبراطور الآتى شخصياً للترحيب بنا ؟؟
 هز (نور) رأسه فى بظء ، قائلاً :
 - لست أعتقد هذا .
 لم يكذب بضم عبارته ، حتى تحولت تلك الطرقات المعنوية إلى صوت آلى ، يقول :
 - أنتم الآن فى حضرة الإمبراطور .. غادروا مركبتكم على الفور .
 قال (رمزي) فى توتر :
 - أه .. نفس ما جاء فى مذكرات شبيبتهك يا (نور) .. التاريخ بعيد نفسه .
 أجابه (نور) فى حزم ، وهو يضغط زر فتح باب المكوك :
 - فى عالمنا ، لم يبدأ التاريخ بعد يا رجل .
 كانت أجهزة المكوك تشير إلى أن الفجوة خلفهم ما زالت مفتوحة ، وعلى الرغم من هذا ، فالضغط والهباء والحرارة صالحوون لخروجهم ، دون أزياء فضائية واقية خاصة ، فغادر جميعهم المكوك ، ووقفوا فوق امتداد أحمر ، أشبه بهبوط من المعطن ،

وتمتمت (نشوى) فى عصبية ، وهى تحتضن ذراع زوجها :
 - ترى ماذا سيفعلون بنا ؟؟
 تمتم (أكرم) متوتراً :
 - سنلتقى بإمبراطورهم المعننى الحقيق .
 قال (نور) فى صرامة :
 - اصمت .
 أما (رمزي) فربت على يد زوجته ، وهو يهمس فى أذنها بحثان مشفق :
 - اطمئنى يا حبيبتى .. لن أسمح لهم بلمس شعرة واحدة من رأسك ، حتى ولو ..
 بتر عبارته بشهقة عصبية ، عندما ارتفع ذلك الصوت الآلى مرة أخرى بقة ، عبر مكبرات صوت قوية هذه المرة ، ترددت فى القاعة الواسعة بعنف :
 - اسجدوا للإمبراطور .
 هتف (أكرم) فى غضب :
 - أى إمبراطور ؟؟
 لم يكذب يطلق صيحته ، حتى انطفأت الأبوار فجأة ، وساد ظلام داس ، هتفت خلاله (سلوى) فى دعر :
 ١١١

- ربهاد ! ذلك الشيء الذي نقف فوقه يتحرك
احتضنها (نور) في قوة ، ليثبت في نفسها شيئاً
من الطمأنينة ، وهو يقول في شيء من التوتر :
- كنا نتوقع هذا .

أخفت رأسها في صدره ، وكأنما تخفي معها خوفها
وذعرها ، وهي تتمتم :
- هذا صحيح ، هذا صحيح ..

انعقد حاجبا (نور) في شدة ، وهو يحاول اختراق
الظلام ببصره ، وعقله يعيد طرح الأسئلة السابقة
كلها دفعة واحدة .

لماذا هذا الظلام ؟

لماذا ؟

لماذا ؟

ومع تساؤله ، سطعت الأنواء فجأة في وجوههم ،
على نحو أخشى أضرارهم جميعاً لشوان . قبل أن
يفتحوا عيونهم ، ويحدقوا فيما أمامهم يذهول تام ..
فهناك ..

وعلى بعد أمتار قليلة منهم ، كان ينتصب ذلك
العرش العملاق ، بارتفاع ثلاثة أمتار ، وعرض
مترين كاملين ..

وفوق ذلك العرش ، كان يجلس الإمبراطور ..
إمبراطور الغزاة الرهيب ..
والآلى ..

* * *

« الأمريكيون واليابانيون قرروا الاستسلام .. »
نطق وزير الدفاع المصري العبارة في توتر ، جعل
رئيس الجمهورية يهبط من مقعده ، ويحدق فيه
بذهشة ، هاتفا :

- ماذا ؟! ولكن لماذا يتخذون قراراً كهذا ؟! لقد
اشتبكنا مع مقاتلات العدو بالفعل ، وأسقطنا بعضها ..
هز وزير الدفاع رأسه ، قائلاً :

- ليس في كل الجبهات يا فخامة الرئيس ، كما أن
الاشتباك لم يمنع من سقوط ضحايا ومصابين ، بلغ
عددهم نصف المليون تقريباً ، ثم إن الأمريكيين
واليابانيين قحصوا المقاتلات ، التي تم إسقاطها ،
وأدركوا أنها مقاتلات آلية ، تقاتل بلا طيارين ، مما
يجعل مواجهتها شبه بالمتعة ، أمام بشر يقاثلون
بمشاعرهم وأنفعالاتهم ..

هتف رئيس الجمهورية في ذهشة :

- ولكننا أخبرناهم كل ما لدينا ، وأبلغناهم أن الغزاة سيبيدون المستسلمين بلا رحمة .

زفر وزير الدفاع ، بمتعتما :

- من الواضح أنهم لا يصدقوننا .

لوح الرئيس بذراعه ، هاتفا :

- ارسل إليهم نسخة من كل ما لدينا .. أثبت لهم

أننا نسمى لصالحهم فحسب ..

زفر الوزير مرة أخرى ، قائلا :

- لقد فعلت .

اتسعت عينا الرئيس ، وهو يسأله :

- ولم يصدقوا ؟

هز وزير الدفاع رأسه تقيبا في أسف ، فتراجع

الرئيس ، وترك جسده يسقط على مقعده ، وهو

يغمغم :

- يا للتعساء !

أشار وزير الدفاع بيده ، قائلا :

- أخبرناهم رأوا أنه لو أن هدف الغزاة الرئيسى

هو إبادة كل صور الحياة على الأرض ، لما استجبت

مقاتلاتهم الآلية ، التى نيفت بعد الاختيالك ، ولواصلت

القتال حتى النهاية ، باعتبار أنها لن تحافظ على

حياة لا تمتلكها .

قال الرئيس :

- ربما تحافظ على كفاءة عديدة أو قتالية .

هز الوزير رأسه ، قائلا :

- يرون أن هذا غير منطقي ، فى ظل الكم الهائل

من المقاتلات ، الذى أشارت إليه مذكرات (تور)

العالم الآخر ، والذى يكفى لسحق قارة كاملة فى

دقائق معدودة .

اتعقد حاجيا الرئيس بضع لحظات ، قبل أن يقول :

- فى هذه النقطة أظنهم على حق ، فالأمر محير

بالفعل .

قال الوزير فى توتر :

- رجال المخابرات العلمية أنفسهم يشعرون

بالحيرة ذاتها .. وخبرائنا أيضا فى الواقع ، وخاصة

وهم يعيدون دراسة كل التفاصيل ، التى جاء بها ذلك

الشبيه المعكوس ، فأغرب ما فى الأمر ، هو أن غزاة

العالم الآخر كانوا يهاجمون الدول فرادى ، وبأعداد

محدودة من المقاتلات .. صحيح أنها تفوق مجموع

ما لدى تلك الدول من مقاتلات ووسائل دفاع ، إلا أنها
ما تزال محدودة ، نسبة إلى العدد الهائل ، الذي جاء
وصفه .

تسأل الرئيس :

- ربما لا يمكنهم اختراق طريق النجوم بأعداد
كبيرة .

هز الوزير رأسه نفيًا ثانية ، وهو يقول :

- الخبراء نفوا هذا الاحتمال تمامًا يا سيادة
الرئيس .

أرداد انعقاد حاجبي الرئيس ، وهو يقول :

- ما السبب الحقيقي إذن ؟

صمت الوزير بضع لحظات ، قبل أن يقول في حزم :

- لا أحد هنا يدري ما السبب .

ثم أشار بيده إلى أعلى ، مستطردًا :

- ربما يحصل من هناك على الجواب .

رقد الرئيس متسألًا :

- من هناك ؟

أوما وزير الدفاع برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم يا فخامة الرئيس .. إنني أقصد رجل

المخابرات العلمية (نور الدين) وفريقه ، الذين
يواجهون الخطر الحقيقي الآن في الفضاء ، والذين
سيحملون إلينا الكثير من الحقائق والمعلومات ،
عندما يعودون إلينا ..

ثم انعقد حاجباه في شدة ، وهو يضيف :

- هذا لو عادوا إلينا ..

حدق الرئيس في وجهه بضع لحظات في صمت ،

قبل أن يتراجع في مقعده ، متمنًا :

- نعم .. إذا عادوا إلينا ..

وفي أعماقه ، ارتبطت العبارة بمزيج عجيب من

القلق ، والخوف ، و ...

والشك ..

* * *

للتصف دقيقة كاملة ، حدق (نور) ورفاقه فيما

أمامهم بذهشة وانبهار كاملين ..

وكان الأمر يستحق بالفعل ..

فعلى الرغم من أن خلا منهم كانت لديه الصورة

كاملة ، إلا أن مواجهة تلك العملاق الآلي مباشرة ،

كانت أمرًا يختلف تمامًا .

ليس من السهل أبداً أن ترى أمامك شخصاً آلياً ،
يبلغ ارتفاعه خمسة أمتار كاملة ، له رأس معدني ،
تتوسطه عين واحدة كبيرة ، تتحرك لتسبر وجوههم
وأغوارهم جميعاً ..

ومرة أخرى ، ارتفع ذلك الصوت الآلي ، يقول :
- اسجدوا للإمبراطور -

شد (نور) قامته ، وهو يقول في صرامة :

- السجود لله (سبحانه وتعالى) وحده .

كرّر الصوت الآلي ، وكأنما لا يبالي بتعليق (نور) :

- اسجدوا للإمبراطور .

قال (أكرم) في عصبية ، وهو يتحسّن مسدسه
في حذر :

- ألم تسمع ما قاله قائدنا أيها الوغد؟! السجود لله

(سبحانه وتعالى) وحده .. وليس للبشر ، فما بالك

بالآلات ؟!

كرّر الصوت في رتابة :

- اسجدوا للإمبراطور -

ومع القول ، تحركت العين الواحدة للآلي العسلي ،

وكانها تلخص وجوه الجميع ، وتدرس ردود أفعالهم

المتوقعة ، فقال (رمزي) في حدة :

- من الواضح أنكم تعيشون في وهم كبير .. إننا
لن نسجد للإمبراطوركم المعدني هذا أو سواه ، ولن ..
تألفيت عنا (نور) بغتة ، وانفقد حاجباه في شدة ،
وهو يمسك يد (رمزي) في قوة ، ليمتنعه من
الاستمرار ، وهو يقول في حزم :

- بل سنفعل -

التفت إليه الجميع في دهشة بالغة ، وهتفت

(سلوى) مذعورة مستكرة :

- ماذا تقول يا (نور) ؟!

أجاب في هدوء عجيب ، وهو يرفع عينيه إلى

الآلي العسلي :

- وهم .. كل هذا مجرد وهم .

بدا مزيج من الدهشة والحيرة على وجوههم ،

وغمغم (أكرم) :

- ما الذي يعنيه هذا بالضبط ؟!

أجاب (نور) بنفس الهدوء العجيب :

- إنها آخر كلمات تشبهني المسكين .. كله مجرد

وهم .

غمغم (أكرم) في توتر :



ومع قوله ، انطلق شعاع ليزر من مسدسه .. نحو عين الآلى
العلاق مباشرة ..

- لم افهم شيئاً .
وفي اللحظة نفسها ، تعالى الصوت الآلى مكرراً :
- اسجدوا للإمبراطور .
ارتسمت ابتسامة غامضة عجيبة على شفتي
(نور) ، وهو يقول :
- الإمبراطور ؟! بالتأكيد .. إننا سنقدم للإمبراطور
الآلى العظيم كل ..
وسحب مسدسه الليزرى فى سرعة ، هاتفاً :
- كل اعتراضاً .
ومع قوله ، انطلق شعاع ليزر من مسدسه ..
نحو عين العلاق مباشرة ..
وفي نفس اللحظة التى تحطمت فيها العين الواحدة ،
صرخ (رمزى) :
- يا إلهى ! ماذا فعلت يا (نور) ؟!
ساح (نور) ، وهو يجنب زوجته وابنته ، بعيداً
عن البساط المعدنى الأحمر اللامع :
- فيما بعد يا (رمزى) .. سأشرح لكم كل شيء
فيما بعد .
وعلى الرغم من إصابته المباشرة ، لم يحرك الآلى
العلاق سلكاً .

ولكن صوتاً أشبه بزمجرة ثائرة عذيفة تطلق في
القاعة ..

وعلى جانبى العرش الهائل، افتتح بايان صغيران ..
واندفعت عبرهما عشرات من الأجسام الصغيرة ،
الشبيهة بالبعوض ، والتي انطلقت نحو أفراد الفريق
مباشرة ، وأجنحتها المعدنية تخفق بصوت مخيف ،
وإبرها الطويلة الممتدة من زعوسها ، تسعى
للتغرس في أجسادهم ، في نفس اللحظة التي كرر
فيها الصوت المعنى ، وكأنه لا يدرك ما حدث :
- اسجدوا للإمبراطور .

وترجع أفراد الفريق كلهم في سرعة ..
فما يحدث أمامهم ، كان صورة طبق الأصل ، مما
رواه (نور) العالم الآخر ..
ولكن النتائج ستختلف حتماً ، كما اختلفت كل
الظروف الأخرى من قبل ..
وهذا يضى أنه من المحتمل أن تكون هذه هي
النهاية ..

نهاية فريق (نور) ..
بأكمله .

* * *

٦ - الخطة الثانية ..

« سيداتى ساداتى .. هنا (مشيرة محفوظ) ..
تحدث إليكم من شبكة (أنباء الفيديو) .. »
تردد صوت (مشيرة) في كل منزل في (مصر) ،
من أقصاها إلى أقصاها ، عبر شاشات الهولوفيزيون
وأجهزة التلفاز العادية ، والكل يتابعها في لهفة قلقة ،
مع استطراداتها ، وهي تشير إلى شاشة كبيرة خلفها :
- كما ترون ، فالاستعدادات تتم ، على قدم وساق ،
في كل شبر من مصرنا العظيمة ، استعداداً لملاقاة
الغزاة .. كل رجل وامرأة وطفل وشيخ يستعد
لمواجهتهم ، بكل قوته وإصراره وحزمه وعزمه ،
وإرادته وأمله .. لن نسمح لهم بغزونا مرة أخرى
قط .. لن نستسلم .. لن نستسلم أبداً ..
ارتجفت قلوب الجميع ، مع كلماتها الحماسية ،
والشاشة خلفها تنقل صور الاستعدادات ، في كل أنحاء
(مصر) ، قبل أن تتغير الصورة ، وتنقل الشاشة

مشهد البيت الأبيض الأمريكي . وقد وضعت على
أرضية حديقته لوحة عملاقة ، كتب عليها :
- نحن نستسلم .. نريد السلام لا الحرب .
وحول اللوحة وقف الرئيس الأمريكي ، ونائبه ،
وطاقم وزرائه ومساعديه ، وكلهم يتطلعون إلى
السماء في قلق شديد ..

وفي أسف وأسى ، تابعت (مشيرة) :

- المؤسف أن روح المقاومة هذه ليست القاسم
الأكبر ، في كل دول العالم .. العديدون اتهاؤوا قبل
الأوان ، وقرروا الاستسلام للغزاة ، قبل حتى أن
تبين قوتهم الحقيقية .. وبالأذات تلك الدول ، التي
قضت ردحا طويلا من الزمن ، وهي تتعامل بمنطق
القوة وحدها ، بغض النظر عن العدل والحق ،
والمساواة .. الدول التي ظلمت مثالا للظلم والبعى ،
والكيل بمكيالين .. كلها قررت الاستسلام ؛ لأنها
تصورت أن الخصم أكثر قوة ، وهي لا تؤمن
إلا بمنطق القوة .. القوة وحدها .

ثم التفتي حاجباها ، وبدأت أشبه بصورة مجسمة
للإصرار والصمود والصلابة ، وهي تهتف :

- أما نحن فسنقاوم ، ونستمر ، ونقاتل ، ونناضل ..
حتى آخر قطرة دم في عروقنا ، وآخر نفس يتروى في
صدورنا .. سنستمر ، ونقاوم ، ونقاتل ، ونناضل ، حتى
آخر مواطن ، يحمل في خاتمة جنسيته اسم (مصر) ..
(مصر) الصامدة .. المناضلة .. المقاتلة إلى الأبد .
وراح جسدها يرتجف ، من فرط الحماس والافعال ،
وبح صوتها واختق ، وهي تنهى برنامجها ، قائلة :

- كانت معكم (مشيرة محفوظة) ، من شبكة (أبناء
الفيديو) .. ظلوا معنا ، فسنتابع الأحداث أولا فاولا ..
توقف البث المباشر وساد قاعة التصوير الرئيسية ،
في شبكة (أبناء الفيديو) صمت تام ، لم يلبث أن تحول
بقة إلى عاصفة من التصفيق ، ومساعد (مشيرة)
الأول يهتف ، بكل حماس الدنيا :

- رائع يا سيّدة (مشيرة) .. رائع .. لقد تفوقت
على نفسك حقا هذه المرة ..

أشارت إليه بيدها ، قائلة في توتر :
- لا أريد أية مجاملات .. سأكتفى بقدر من الفهوة ،
وياخر التقارير المصورة ، الواردة من مواقع الأحداث .
كانت تتجه إلى حجرة مكتبها في خطوات سريعة

واسعة ، عندما استوقفها العميد (أشرف) فجأة ،
قائلاً في توتر :

- سيّدة (مشيرة) .

التفتت إليه في حدة ، قائلة :

- حسن .. ماذا تريد هذه المرة ؟؟

بدأ أكثر توتراً ، وهو يقول :

- أردت أن أقول : إن هذا كان رائعاً .

بهتت للجواب ، فحدقت في وجهه ، قائلة :

.. ماذا ؟؟

اعتقد حاجباً ، وكأنها لا يروق له ما سيقوله .

وهو يجيب :

- أقول : إن هذا كان رائعاً .. لقد تحدثت بحماس .

أظنه أشعل رغبة الجميع في المقاومة والقتال .. لقد

حققت ما نعجز كلنا عن تحقيقه ، مهما قلنا ، وفعلنا ،

وتصورنا أننا نؤدي واجباً مقدساً .

حدقت في وجهه مرة أخرى ، قائلة :

- أنتدرك ما نقول جيداً ؟؟

لم يرق له سؤالها ، فأنشأ بوجهه ، متمسكاً :

- بالتأكيد .

ثم استدار بأسلوب عسكري محض - وغائر المكان

في خطوات أسرع مما ينبغي وهي تتابعه بصرها في
دهشة ، قبل أن تهز رأسها ، مضغمة في عصبية :

- عجباً ! يبدو أن الشدائد تصنع المعجزات بالفعل .

قالتها ، ودلقت إلى مكتبها ، وألقت جسدها المرهق ،

من فرط الانفعال ، على أقرب مقعد إليها ، وهي

تهتف في عصبية :

- أين قدح القهوة ؟

كان الكل يتصورون أن منشأ انفعالها الولىمى ،

هو محاولتها بث الحساس في قلوب الجميع ، ولكن

لو اقترب منها أحدهم - في تلك اللحظة ، وهي تجلس

وخيدة في حجرة مكتبها ، لرأى دموعها تفرق

وجهاً ، ولسمعها تهمس ، بكل لوعة الدنيا :

- يا رب .. أعد إلى سألماً .. أعد إلى زوجي الحبيب .

ثم تنخرط في بكاء حار ..

جداً ..

لم تكذ تلك البعوضات الآلية تنقطن على (نور)

ورفاقه ، حتى هتف في صرامة ، وهو يطلق أشعة

مدممة نحوها :

- تراجعوا .. إلى المكوك بأقصى سرعة .

هتفت (نشوى) ، وهى تعدو مذعورة :

- وأين المكوك ؟!

انتزع من حزامه مسدسا آخر ، وألقاه إلى

(رمزى) ، هاتفا :

- ليس بعيدا .

التقط (رمزى) المسدس فى خفة ، وعلى الرغم من أنه ليس مقاتلا ، فقد تحرك بسرعة مذهشة ، فى تناسق بالغ الثقة ، مع (نور) و(أكرم) ، ليصنع ثلاثتهم من أجسادهم مثلثا مقاتلا ، يحسى داخله (سلوى) و(نشوى) ، والجميع يتحركون فى سرعة ، نحو أحد جدران القاعة ، والرجال الثلاثة يطلقون النار على البعوض الآلى ، الذى ينقض عليهم من كل صوب ..

وبكل دغرها وعلعها ، هتفت (سلوى) :

- لن ننجو يا (نور) .. سنتطفئ الآوار الآن .

وينقض علينا هذا البعوض الآلى بلا رحمة .

أجابها فى صرامة :

- لن نتطفئ الآوار هذه المرة .

تطقها ، وهو يدير فوهة مسدسه مرة أخرى نحو

ذلك الآلى العملاق ، ثم استطرد فى حزم :

- لن نسمح لهم بإطفائها .

وتطلقت خيوط الأشعة تنسف بقايا العين الواحدة ، فى منتصف رأس الآلى العملاق ، الذى لم يتحرك من مكانه ، وراحت تضرب عنقه مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

وفى عصبية مجتذة ، هتف (أكرم) :

- ماذا تفعل بالله عليك يا (نور) ؟! إنه لا يهاجمنا ..

هم يفعلون ..

أجابها (نور) فى صرامة ، وهو يطلق مسدسه

الليزرى مرة رابعة :

- الكل يهاجمنا .

ومع قوله ، أصابت الأشعة منتصف عنق الآلى

العملاق .

ودوت فى المكان فرقعة قوية ، كادت تصم أذان

الجميع ..

ثم هوى الرأس ..

ومع سقوطه ، توقف هجوم البعوض الآلى دفعة

واحدة ..

فجأة ، توقفت كل بعوضة فى موضعها ، وأجنحتها

الآلية تخفق فى رتابة ..

ثم راح البعوض يحوم في المكان ، في حيرة آلية
عجيبة ..

وانتقلت هذه الحيرة إلى أفراد الفريق ، و (نشوى)
تسأل :

- ماذا حدث !!

تحرك (نور) في سرعة ، وراح يتحصن الجدار ،
وهو يقول :

- فيما بعد .. سأشرح لكم كل شيء فيما بعد ..
المهم الآن أن نعتز على المكوك .

قال (أكرم) في دهشة :

- المكوك !! ولكنه ليس هنا يا (نور) !! إنه في
قاعة أخرى .

أجابته (نور) في حزم :

- بل هو هنا .

قالتا ، وتراجع بضغ خطوات ، ثم صوب مسدسه
الليزري إلى الجدار ، مستطرذا :

- بالتحديد .

ومع آخر حروف كلماته ، انطلقت أشعة مسدسه ،
لتضرب ذلك الجزء من الجدار ، و ...

وارتج الجدار لحظة واحدة ..

ثم دار حول نفسه في سرعة متوسطة ..
وعلى الجانب الآخر منه ، بدأ مكوك الفضاء ،
وهو يدور في نغومة ، ليدخل نفس القاعة ، التي
يقفون فيها .

وفي دهشة عارمة ، تراجع الجميع ، مفسحين
الطريق للمكوك ، و (رمزي) يهتف :

- يا إلهي ! لقد كان هنا بالفعل .

تلقت (نور) حوله في توتر متحفظ ، حاملاً
مسدسه الليزري ، حتى استقر المكوك في منتصف

القاعة عما كان ، فهتف (نور) :

- هيا .

واندفع نحو المكوك ، وضغط زرًا إلى جوار بابهِ ،
فانفتح في نغومة ، ووثب الجميع داخله ، فأسرع (نور)

إلى جهاز الكمبيوتر ، وراح يضرب زراره في سرعة ،
وهو يهتف :

- (أكرم) .. أغلق باب المكوك .

نقذ (أكرم) ما طلبه (نور) ، وهو يقول في حصبية :

- (نور) .. ماذا يحدث بالضبط ؟! إنني لا أحتمل
انتظار التفسير .

أجابه (نور) فى افعال ، وهو يواصل العمل على
آرور الكمبيوتر فى سرعة :

- لا وقت للشرح والتفسير يا (أكرم) .. هناك
أمر بالغ الأهمية ، لا بد أن أسجده أولاً ، قبل أن يبدأ
هؤلاء الأوغاد هجومهم .

اتسعت عيون (سلوى) و (نشوى) فى ارتياح ،
وهتف (رمزى) :

- هجومهم !؟

التفت إليه (نور) ، قائلاً فى توتر :

- ماذا تصورتهم إذن ؟! أنهم سيتركوننا نفسد

خطتهم البارة كلها ، بهذه البساطة ؟!

تبادل الجميع نظرات شديدة التوتر ، قبل أن يهتف
(أكرم) :

- ما زلت لا أفهم يا (نور) .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى دوت فرقة قوية فى
المكان ، وانهار الجدار المواجه للمعوك تماماً ، وظهر
خلفه عشرة من المقاتلين الآليين ، يحملون مدافع
ليزرية قوية ، ويتجهون نحو المعوك مباشرة ..

ودون إبطاء أو إبطاء ، انطلقت حزم الليزر من
المدافع القوية ..

وفوت الانفجارات دخل القاعة ..
بمنتهى القوة ..

* * *

كان الأمر عتيقاً ..

إلى أقصى حد ..

حزم الليزر ، التى أطلقها الآليون ، نسفت الجناح
الأيمن للمعوك ، وأصابته إبطاره الأمامى ، وحطمت
نوافذه كلها ، فسال إلى الأمام ، وارتطمت مقلامته
بالأرض فى عنف ، فهتفت (نشوى) مذعورة :

- رباه ! إنهم يهاجموننا فى عنف ..

وصاحت (سلوى) فى ملح :

- (نور) .. يبدو أننا لن ننجو هذه المرة .

أجابه فى حزم شديد ، وهو يضغط آخر آرور
الكمبيوتر :

- ليس المهم أن ننجو .

ثم دفع جسده إلى اليسار ، وجذب نراعاً صغيرة ،
تحمل فوقها إشارة إلى خطورتها وسريتها ، وهو
يكمل :

- المهم أن تنجو الأرض .

ومع جذب الذراع ، انفتحت فجوة صغيرة ، فى
مؤخرة المكوك ، ووثبت عبرها كرة صغيرة ، فى
حجم كرة التنس ، لها سطح معدنى دافئ ، وانطلقت
بسرعة مذهلة ، عبر الممر الطويل ، الذى اتضحت
ملامحه ، مع دوران جدار القاعدة حول نفسه ،
وتجاوزت الفجوة فى نهايته ، لتواصل انطلاقها عبر
الفضاء بسرعة مذهلة ..

ورصدت أجهزة سفينة الغزاة انطلاق تلك الكرة
المعدنية ..

وسجلت حجمها وسرعتها واتجاهها ..

وأطلقت خلفها عشرات من خيوط الليزر ..

ولكن الكرة راوغت بمهارة مذهلة ..

وساعدها حجمها الصغير على الإفلات والمناورة ..

ثم فجأة ، انطلقت منها نذبذة قوية ..

نذبذة ارتجت لها سفينة الغزاة لحظة ..

وانفتحت ثغرة فى الفضاء ..

وعبرتها الكرة بسرعة مذهلة ..

ثم تلاشت الثغرة ..

تمامًا ..

وداخل المكوك نفسه ، لم يشعر رفاق (نور) بما
حدث ، مع خيوط الليزر ، التى انتهالت عليهم من كل
صوب ..

وهتف (أكرم) ، وهو يندفع بمنمنسه إلى الباب :
- هل سنقتل حبيوسين هنا ، ليقتضى علينا
هؤلاء الأوغاد ، كما لو كنا مجموعة من الفئران فى
مصيدة ؟!

وفتح الباب فى حدة ، صائحًا :

- ابنى أفضل الموت مقاتلاً ..

هتف به (نور) :

- لا .. لا تقطعها أيها التنس ..

لم يكذب بتم عبارته ، حتى اندفعت عبر الباب كرات
شفافة صغيرة ، بأعداد هائلة ، جعلت (سلوى)
تصرخ :

- ريتاء ! ما هذا يا (نور) ؟! ما هذا ؟!

قفز (نور) إليها ، واحتواها بين ذراعيه ، محاولاً
حمايتها من تلك الكرات الشفافة ، التى انتشرت فى
كل مكان ، و ..

وفجأة ، تألفت كلها فى قوة ..

وانبعث منها ضوء مبهر ..

ومع الضوء ، انطلقت فى أجساد الجميع صاعقة
قوية ، انتفضت لها أجسادهم فى عنف شديد ..
ثم سقطوا جميعاً فاقدى الوعي ..

وتلاشى الضوء ..

وفى بطنه ، راحت الكرات المشغوفة تسبح فوق
الأجساد الفارقة للوعي ، ثم انطلقت لتلتصق بجدران
المكبوك ، فى نفس اللحظة التى برز فيها الآليون ،
أشباه البشر ، حاملين مدافعهم الليزرية القوية ..
وصوبوها كلها إلى أفراد الفريق ..

بلا استثناء ..

أو رحمة ..

* * *

« دكتور (جلال) .. هناك محاولة جديدة لاختراق

فضائنا .. عبر طريق التجوم .. »

تردّد ذلك النداء ، عبر جهاز الاتصال الخاص ،
المحدود للغاية ، الذى يحميه الدكتور (جلال) فى
ساعته ، فهبّ من مقعده ، فى حجرة القائد الأعلى ،
وهو يهتف فى توتر بالغ :

- أين ؟ وكيف ؟ وما مدى الاختراق ؟

أجابته صاحب النداء فى توتر :

- هذا ما يشير حيرتنا يا سيدي ، فالتسرّد والنبذية
مناسيان للاختراق تماماً ، ولكن المدى صغير للغاية ، حتى
إنه لا يكفى لصور مقاتلة واحدة ، من مقاتلات الغزاة ..

اعتقد حاجبا الدكتور (جلال) ، وهو يتمتم :

- صغير للغاية ..

أجابته المتحدث :

- ربما كان .. أحم .. الرفاق يعتقدون أنه قد
يكون .. قبلة ..

قال الدكتور (جلال) فى حزم عجيب :

- كلا .. إنه ليس كذلك ..

ثم أضاف بلهجة أمره :

- تابعوا الموقف ، وانقلوا إلينا الصورة على الفور ،
وانظروا أية تعليمات جديدة ..

قالها ، وأنهى الاتصال ، وقد اعتقد حاجبها أكثر
وأكثر ، فسأله القائد الأعلى فى قلق شديد ، وهو
يتنهد من خلف مكتبه :

- ماذا هناك ؟

ضغط الدكتور (جلال) زرّاً ، على سطح مكتب

القائد الأعلى ، فأضيفت شاشة كبيرة أمامه ، وهو
يجيب في حزم :

- (نور) وفريقه ما زالوا على قيد الحياة .
هتف القائد الأعلى :

- حقاً ؟

ثم التفت حاجباه ، وهو يسأل :

- ولكن كيف عرفت هذا ؟

أشار الدكتور (جلال) إلى الشاشة الكبيرة ، التي
نقلت صورة للسماء والسحب ، وهو يجيب :

- ستري بنفسك الآن .

لم يكف بتم عبارته ، حتى نقلت الشاشة فرقعة
مكتومة ، انفتحت بعدها ثغرة في السماء ، اندفعت
عبرها كرة صغيرة ، في حجم كرة تنس^(*) ، لها سطح
معنلى داكن ..

(*) تنس : رياضة تمارس إما في ملاعب داخلية ، أو في قهواء
الطلي ، من قبل شخصين أو أربعة أشخاص ، ويتقسم اللاعب إلى
نصفين ، بواسطة شبكة عرضية ، وتقعها في منتصفها ثلاثة أقدم ،
وعند طرفيها ثلاثة أقدم ونصف القدم ، وتستخدم فيها مضارب خاصة ،
وكرة من المطاط المنفوخ ، مغطاة بقماش خشن .

وبسرعة ، هتف الدكتور (جلال) ، عبر جهاز
الاتصال :

- اتبعوها بسرعة .. لا تدعوها تفلت منكم .

تابعت آلات الرصد حركة الكرة في سرعة ، وهي
تندفع إلى أسفل ، في مسار منحني ، فهتف القائد
الأعلى في عصبية :

- أريد تفسيراً فورياً لما يحدث .

أشار الدكتور (جلال) إلى الشاشة مرة أخرى ،
وهو يجيب في لهجة ، حملت انفعالاً واضحاً :

- هذه الكرة كانت خط الدفاع الثاني ، في رحلة
فريق (نور) الانتحارية .

سأله القائد الأعلى في دهشة :

- ماذا تعنى ؟

تابع الدكتور (جلال) عملية هبوط الكرة على
الشاشة الكبيرة ، وهو يجيب :

- عندما بدأ (نور) رحلته الانتحارية مع فريقه ،
كنا نطم بأمر ذلك الجاسوس الإلكتروني ، ولكننا
نجهل تماماً ما إذا كان هناك جاسوس آخر أم لا ، لذا
كان من الضروري أن نضع خطة فرعية ، على نحو
بالغ الدقة والسرية ، يتم تنفيذها في حالة فشل الخطة
الأساسية ، في إغلاق طريق النجوم .

سأله القائد الأعلى :

- وهذه الخطوة الثانية هي الكرة .

أجاب الدكتور (جلال) :

- ليست مجرد كرة .. إنها خزانة معلومات ..

شيء أشبه بالصندوق الأسود ، الذي تجده في الطائرات ، والذي ينقل كل الاتصالات التي تمت ، بين الطائرة وقاعدتها الأرضية ، ويسجلها ثانية فثانية ..

إنها تحوى التفاصيل الدقيقة ، بالصوت والصورة ، لكل ما مرّ به المكوّن ، منذ غادر الأرض ، وحتى تم إرسالها ، ومن المفترض أن يضيف إليها (نور) أية معلومات جديدة ، أو استنتاجات يمكنه التوصل إليها ، خلال مهمته هذه .. باختصار .. كانت الخطوة

الاحتياطية تعتمد على تنفيذ الهدف الرئيسى ، الذى سعى إليه (نور) العالم الآخر وفريقه ، فى مهمتهم الإبحارية ، ولكن (نور) اقترح إضافة إمكانية

خاصة ، تتيح له إرسال كل تلك المعلومات إلى الأرض ، حتى ولو انتهى أمره وأمر فريقه ، ولهذا تم صنع تلك الكرة ، وتزويدها بذاكرة خاصة ، تحدد

مسارها ، وتمكنها من العودة إلى الأرض ، بكل ما تحمله ، أيا كان موضعها ، فى الفضاء السحيق .

قال القائد الأعلى فى غضب :

- دون أن يتم إبلاغى بهذا ؟!

صعقت الدكتور (جلال) لحظة ، قبل أن يجيب فى خفوت :

- لا أظن الوقت يكفى للعتاب .

كانت الكرة تهبط فى تلك اللحظة ، فى حديقة مركز الأبحاث العلمية تماما ، فتنبعث صوت ، عبر جهاز الاتصال المحدود ، يقول فى دهشة :

- دكتور (جلال) .. يبدو أنها تستهفنا مباشرة .

أجاب عبر جهاز الاتصال نفسه :

- إنها آمنة يا رجل .. مرّ رجال المكتب الرابع بالتحفظ عليها ، ونقلها إلى مركز البحث الخاص ، وساحضر إليكم على الفور .

قال الرجل فى سرعة :

- كما تأمر يا دكتور (جلال) .

أنهى الدكتور (جلال) الاتصال ، والتفت إلى القائد الأعلى ، الذى أشار بيده ، وهو يقول فى صرامة :

- هيا .. اذهب لتفحص ما أرسله (نور) ، وستناقش ما حدث فيما بعد ، عندما تنزاح هذه الغمة .

تتهّد الدكتور (جلال) ، وهو يغتم :

- ليست لدى ذرة واحدة من الشك ، فى أن (نور)
قد أرسل إلينا معلومات بالغة الأهمية ، ولكن الله
(سبحانه وتعالى) وحده يعلم : ما الذى ستقودنا إليه
تلك المعلومات ، فإما أن تنزاح الغمة ، أو ...

لم يستطع إتمام عبارته ..

ولم يسأله القائد الأعلى عما يعنيه ..

ولكن جسده ارتجف ..

بأكمله ..

الظلام كان يحيط بكل شيء ..

كل شيء بلا استثناء ..

وكانت هناك أصوات تأتي من بعيد ..

من آخر العالم ..

ثم راحت هذه الأصوات تقترب أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وتتضح ..

وتتضح ..

« (نور) .. أأنت بخير ؟ » ..

تسأل الصوت إلى أنثيه ، فالتفت جسده انتفاضة
خفيفة ، قبل أن يفتح عينيه ، ويحدث فيما أمامه .

كان يرقد داخل حجرة واسعة من المعدن ،

بلا نوافذ .. لها باب واحد مقلق ، وحوله رفاهه

كلهم ، يتطلعون إليه فى قلق ، وزوجته تحنى عليه ،

قائلة فى صوت أقرب إلى البكاء :

- حمدا لله على سلامتك .

اعتدل جالسا ، وهو يمسك رأسه ، مع الصداع

الشديد الذى يشعر به ، وغتم فى ألم :

- تحن أحياء إذن ..

أجاب (رمزي) فى توتر :

- إنهم يحتفظون بنا لسبب ما .

غمغم (أكرم) فى عصبية :

- من حسن حفظنا أن الآلات ليست من أكلة لحوم

البشر .

أدارت (نشوى) عينيهما إليه ، قائلة :

- لا تكن واثقا هكذا .

اتعقد حاجباه ، وهو يجيبها :

- هل يسعدك إثارة قلقي ؟

لوحت بيدها ، قائلة في رأس :

- وما الفارق ؟

مطّ شفتيه ، وأسند ظهره إلى الجدار المعدني
البارد ، داخل الحجرة الخاوية ، وهو يتحصن موضع
مهندسه الخالي في حزامه ، متمسكاً :

- أنت على حق .. وما الفارق ؟

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

- ما داموا قد قرّروا الاحتفاظ بنا على قيد الحياة ،
فهناك فارق حتمًا .

استدار إليه (أكرم) ، قائلاً في حدة :

- (نور) .. أنت تعرف أكثر مما نعرفه بكثير ..

أخبرنا ما لديك يا رجل .. ماذا يحدث هنا ؟ وما الذي
فعلته في المكوك ، قبل أن نفقد وعينا .

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

- لقد كشفت الوهم فحسب يا صديقي ، وأدركت

ما الذي كانت تغويه كلمات شبيهتين المسكين الأخيرة .

قال (رمزي) في اهتمام :

- هل لنا في مزيد من التفسير ؟



اعتدل جالسًا ، وهو يمسك رأسه ، مع العنداع الشديد الذي
يشعر به ، وضغف في ألم - نحن أحياء إذن ...

غمغم (نور) :

- بالتاكيد .

ثم أدار عينيه في الحجرة الخاوية ، وابتسم
ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

- من حق الجميع أن يعلم ما لدى .

لم يفهم أحدهم ما يعنيه بابتسامته الغامضة هذه
بالضبط ..

إلا أنهم أنصتوا إليه جميعاً بكل جوارحهم ..

أما هو ، فقد اعتدل في مجلسه ، والتقط نفساً
صيقاً ، ثم انطلق يشرح ما لديه ..

بكل التفاصيل ..

والمعتاد ، كانت كلماته تحمل مفاجأة ..
مدهشة .



٧ - الوهم ..

انزلت الكرة المعدنية الصغيرة في نعومة ، عبر
أسطوانة شفاة قصيرة ، داخل جهاز الفحص الخاص ،
في حجرة التجارب باللغة المصرية ، في مبنى مركز
الأبحاث ، ولم تكد تستقر داخل تجويف خاص ، حتى
راحت شاشات جهاز الكمبيوتر الجديدة تنقل كل
المخزون فيها إلى شاشة كبيرة في المواجهة ..

وفي صمت تام ، راح القائد الأعلى ، والدكتور
(جلال) ، وعدد محدود للغاية من العلماء ، يتابعون

رحلة العموك (ابن ماجد) ، عبر طريق النجوم ..
حتى كانت تلك اللحظة ، التي ظهرت فيها سفينة
القزاة ..

واتسعت العيون كلها في ذهول ..

وذعر ..

وخلقت القلوب في هلع ..

ورعب ..

وبصوت مبحوح من فرط الانفعال ، هتف القائد
الأعلى :

- رباه ! مذكرات التشبيه المعكوس أُنشأت إلى ضخامة تلك السفينة ، ولكنني لم أتصورها قط بهذا الحجم ..

غفم الدكتور (جلال) في صعوبة :

- كلنا هذا الرجل .

أشار أحد العلماء بيده ، قائلاً :

- وذلك العدد الهائل من المقالات .. لمست أظن نوكينا كله يمتلك نصفها .

تمتم القائد الأعلى :

- إنهم قادرون على أن يحققوننا في ساعات معدودة .

التفت إليه الدكتور (جلال) ، متسائلاً في أفعال :

- السؤال الوحيد : لماذا لم يفعلوا إذن ؟

التقى حاجبا القائد الأعلى في شدة ، وهو يتابع ذلك المشهد المبهر على الشاشة ، قبل أن يغفم :

- نعم .. لماذا لم يفعلوا ؟

لم يجب أحدهم السؤال ، وهم يتابعون حركة المتوك ، الذي يفرق في نعومة ، عبر الممر الطويل ، داخل سفينة الغزاة ، ثم يستقر في منتصف تلك

القاعة الضخمة ، وسمعوا تلك الصوت الألي ، وهو يأمر (نور) ورفاقه بالسجود للإمبراطور ، فتمتم أحد العلماء :

- رباه ! كيف يحتفل (نور) وفريقه هذه الأهوال ؟

قال الدكتور (جلال) ، في لهجة تحمل الكثير من

الاحترام :

- إنهم ليسوا مثلاً .

وصمت لحظة ، ثم أضاف في حزم :

- إنهم أبطال .

التفت إليه القائد الأعلى في دهشة ، ثم عاد يتطلع

إلى الشاشة ، مضغماً :

- صدقت .

مع آخر حروف كلماته ، أطفئت الأنوار داخل

القاعة ، التي استقر فيها المتوك ، قهقه أحد العلماء :

- يا للسخافة ! سيفوتنا جزء بالغ الأهمية .

أشار إليه الدكتور (جلال) ، قائلاً :

- لن يفوتنا شيء .. الكرة ستطوّر نفسها على

الغور ، وتنتقل إلى الروية باستخدام الأضعة دون

الحمراء ..

تحولت الشاشة مع كلماته إلى لون أخضر زاهٍ ،
صبغ كل شيء ، والكرة تنقل كل ما سجلته ، في أثناء
فترة الإفلام ، و ..

« رباه ! هل ترون ما يحدث ؟ »

حدث الجميع فيما أمامهم بهشة بالغة ، وغمم
الدكتور (جلال) في الفعّال :

« عجباً ! لماذا يحدث هذا ؟! المفترض أن السفينة
ضخمة للغاية ، حسبما ...

قاطعه القائد الأعلى ، وهو يكمل في حماسة :

« حسبما تبدو -

التفت عيون الجميع في لحظة واحدة ، وبدأ وكأثم
قد استوعبوا الأمر بأكمله ، فهتف الدكتور (جلال) :
« رباه ! هذا ما أريد (نور) أن نخبرنا به ..
حرك الصورة بسرعة يا رجل .. أريد القفز إلى
استنتاجاته مباشرة -

ضبط أحد العلماء زرّاً ، فتوالت الصور في سرعة ،
ونقلت الشاشة مشهد الآلين ، وهم يهاجمون المكموك ،
ويعطرونه بحزم الليزر ، فتراجع الجميع في حدة ،
وهتف القائد الأعلى :

« يا إلهي ! إنهم يهاجمونهم -

رَدّد أحد العلماء :

« يا للشجاعة ! يا للشجاعة !

ولكن فجأة ، اختفت الصور ..

وأظلمت الشاشة تماماً ..

ولثوان ، ساد صمت رهيب ، قطعته الدكتور

(جلال) ، وهو يتمتم بصوت حمل كل مرارة
الدنيا :

« هذا آخر ما سجلته الكرة -

أزدد كل منهم غصة في حلقه ، دون أن ينبس

ببنت شقة -

ثم أضاءت الشاشة مرة أخرى ..

وفي هذه المرة ، كانت تحمل كلمات (نور) ..

وأفكاره ..

واستنتاجاته ..

وفي هذه المرة ، اتسعت العيون عن آخرها ..

وخفقت القلوب حتى أقصاها ..

فالمعتوب أمامهم كان كغيبلاً بأن يقلب الصورة

كلها ..

رأساً على عقب ..
وبمنتهى الصنف ..

« كل هذا مجرد وهم .. »

لطفى (نور) العبارة فى هدوء عجيب ، وهو يستند
ظهره إلى الجدار المعدنى للحجرة ، وأشار بيده إليها ،
متابعاً :

- السفينة الهائلة ، وأعداد المقاتلات الخرافية ،
والآلى العملاق ، كلها مجرد خطوط عريضة ، فى
خطة منقطة للحرب النفسية ، هدفها الأول هو تحطيم
الروح المعنوية لسكان الأرض ، لضمان الانتصار
الساحق عليهم .

مناله (أكرم) فى توتر :

- هل تقول : إن هذه السفينة ليست ضخمة كما
تبدو ؟!

أوما (نور) برأسه إيجابياً ، وقال :

- بالضبط .. كل ما ترونه عبارة عن سفينة
فضائية محدودة ، أضيف إليها هيكل زائف ، يعتمد
فى معظمه على صور هولوجرافية منقطة ، بحيث

يوحى بأننا أمام كوكب عملاق .. أما تلك الأعداد
الرهيبية من المقاتلات ، فمعظمها مجرد هياكل فارغة ،
وصور خداعية ، الغرض منها إيهامنا بقوة الغزاة
التي لا تقهر .

قالت (سلوى) فى خيرة :

- ولكن أحداً لن يمكنه رؤية كل هذا يا (نور) -
أشار بسبأته ، قائلاً :

- خطأ يا عزيزتى .. (نور) العالم الآخر أتى لرؤيته
مع فريقه ، ونحن فعلنا .. أى كوكب يواجه ما يواجهه
كوكبنا ، كان سيرسل حتماً حملة استكشاف ..
ثم مال إلى الأمام ، متابعاً فى حماس :

- لهذا لم تحاول المقاتلات الآلية ، التي حاصرت
كوكب أشباهنا ، أن تسحقه مباشرة ، على الرغم من
أن كل ما فعلته قبل هذا أو بعده ، يؤكد بما لا يدع
مجالاً للشك ، أنها لا تقيم وزناً للحياة البشرية وغير
البشرية بكل صورها .. الواقع أنها لم تفعل ، لأنها
كانت تريد منا أن نأتى ، وأن نشاهد ما شاهدناه ،
ونسجل ما سجلناه .. وإطفاء الأنوار لم يكن سوى
وسيلة مسرحية ، لتغيير ديكورات القاعة ، بما يوحى

إليها بأننا انتقلنا إلى قاعة أخرى ، وخاصة عندما
نفسر بذلك البساط المعنى يتحرك تحت أقدامنا ..
تماماً مثلما يحدث على المسرح .. عدة ديكورات
لمشاهد مختلفة ، على محور دائري ، بحيث يمكن
إحلال بعضها محل بعض ، بحركة ناعمة سريعة ..
كل هذا لتفتح بأننا داخل سفينة فضاء عملاقة ..
تمتت (نشوى) في انبهار :

- رباه ! استنتاجك هذا يفسر كل شيء يا أباي ..
لهذا كانوا يعتمدون على الضربات السريعة الخاطفة ..
ولهذا أيضاً ركزوا هجومهم على كل دولة على حدة .
حتى يستخدموا قوتهم الفعلية كلها للانتفاض عليها
ومحقها .
أجاب في سرعة :

- بالضبط .. ولقد جعلونا نواجه آلى عملاق ،
وبعض قاتل ، وهاجموا شبيه (رمزى) فى العالم الآخر ،
وقتلوه - بلا رحمة - ليوحوا برغبتهم فى احتجاز
الباقين ، فى حين أنهم تركوهم يفرّون ، ولم
يحاولوا حتى تعقبهم ، على الرغم من أنهم يمتلكون
مفاتيح طريق النجوم ، وكان يمكنهم الانطلاق
بعشرات المقاتلات خلفهم ، وسحقهم بلا رحمة .

ثم عاد يدير عينيه فى المكان ، واستعادت شفاته
تلك الابتسامة الغامضة ، وهو يتابع :

- كان الهدف الرئيسى هو أن يعود الفريق إلى
الأرض ، وينقل الصورة كلها إلى مكانه ، لبث الرعب
فى قلوبهم ، وتحطيم مغوياتهم ، وتدمير روح القتال
فى أعناقهم .. نفس الأسباب التى جعلتهم يختارون
أهدافهم بعناية ، وبوسيلة تصنع أكبر ضجة معنوية ..
لقد هاجموا قصر الرئاسة ، فى العالم الآخر ،
ولم يحاولوا مهاجمة قاعدة جوية ، أو ثكنة عسكرية ..
وحسب فى انقضاضاتهم المباغتة ، كانوا يتحاشون
المواجهة المباشرة ، بكل وسيلة معنوية .

كان رفاقه يتطعنون إليه بدهشة بالغة ، فتوقف عن
حديثه ، والتقط نفساً عميقاً ، ملأ به صدره كله ، قبل
أن يقول :

- هل تدركون ما الذى يعنيه كل هذا ؟
أظن تساؤل قلبي من عيونهم ، فتابع فى حزم :
- يعنى أن المواجهة معنوية ، والانتصار على الغزاة
ليس مستحيلاً ، كما تصور أقراننا ، فى العالم الآخر .
قال (أكرم) فى عصبية :

- هذا لو علم عالمنا بما كشفته يا (نور) .
 اتسعت ابتسامة (نور) ، وهو يقول في هدوء
 عجيب :
 - لقد علموا .
 تفجرت دهشة عارمة في وجوههم ، وهم يحدثون
 في وجوه ، قبل أن يهتف (رمزي) :
 - لا تقل لي : أن هذا ما كنت تفعله في المكوك ،
 عندما هاجمنا الآليون .
 أجابه (نور) ، بإشارة من يده :
 - بالضبط .
 ثم اعتدل ، ونهض واقفاً على قدميه ، مستطرداً
 في حزم :
 - في نفس لحظة الهجوم ، أطلقت كرة خاصة ،
 تحمل كل المعلومات والتفاصيل ، إلى الأرض .. ولقد
 نجحت في مهمتها ، وإلا لتلقيت إشارة خاصة .
 هتفت (سلوى) :
 - إذن فهم يعلمون .
 أجابها في حزم شديد :
 - وسيفاتلون .

تبادل الجميع نظرة مفعمة بالأمل هذه المرة ،
 وتساءل (أكرم) :
 - ولكن كيف يمكن لعقول آلية أن تضع خطة خبيثة
 ومفعدة إلى هذا الحد يا (نور) ؟
 صمت (نور) بضع لحظات ، قبل أن يشير
 بسبابته ، قائلاً :
 - هذا أيضاً جزء من خطة الحرب النفسية .
 وتطّلع إلى باب الحجرة بضع لحظات ، قبل أن
 يتابع ، وكأنما يتحدث إلى نفسه :
 - قال شعور بأنك تواجه آليين ، يجعلك تتصور أن
 النصر أمر مستحيل ، وأن القسوة التي تبلغ حد
 الوحشية ، ستكون هي الأساس في القتال .
 هتفت (سلوى) مبهورة :
 - هل تقصد أننا لا نواجه آليين ؟!
 ابتسم ، مجيباً :
 - ولا حتى أنصاف آليين .
 سأله (أكرم) في توتر :
 - وماذا عن ذلك الإمبراطور العملاق ؟!
 هز كتفيه ، مجيباً :

- أنقص ذلك الذى لم يحرك ساكنا ، ونحن نقصف
آلة المرافقة فى منتصف رأسه ، ثم نسقط جهاز
الرصد كله ، المتمثل فى الرأس نفسها ؟؟ أى
إمبراطور هذا يا رجل ؟؟ لقد كان وسيلة لرصدنا
فصيب ، وعندما أوقفنا الرصد ، لم يعد ذلك البعوض
الآتى قادراً على مهاجمتنا مباشرة .

غمغم (رمزى) فى التيهار واضح ، وهو يتطلع
إلى (نور) :

- يا إلهى ! إنك عبقرية مذهشة بالفعل يا (نور) ..
كيف يمكن لعقلك إيجاد تفسير منطقى لكل شيء ؟؟
لم يجب (نور) على السؤال ، وهو يهز رأسه فى
بطء ، فتهتفت (نشوى) :

- بقى أمر واحد .. كيف يبدو الغزاة الحقيقيون ؟؟
أشار بيده إلى (رمزى) ، قائلاً :
- دعينا نلقى هذا السؤال على زوجك .
قال (رمزى) فى دهشة :
- على أنا ؟؟
أجابته فى سرعة :

- بالتأكيد .. أنت الخبير النفسى الوحيد بيننا ، والذى

يمكنه أن يفسر لنا ، لماذا يصير كائن ما على أن
يوحى بأن كل ما يحيط به هائل ، ضخم ، عملاق ..
أجابته (رمزى) فى سرعة وحماس :
- إنه يفتر إلى كل هذا .

هتف (نور) :

- بالضبط .

لم يكد هتافه ينطق ، حتى تبعث صوت عجيب
داخل الحجرة الخالية ..

صوت أشبه بزمجرة وحشية مكتومة ..

ثم تحرك الباب الوحيد فى بضع ..

ومن خلفه ظهر شيء ما ..

أو شخص ما ..

بل شخصان ..

شخصان أليان ضخما الحجم ، يحملان مدفعين
ليزرين قويين .

وبينهما كان يقف كائن حى .

أول كائن حى ، تقع عليه عيونهم ، فى تلك
السفينة ..

سفينة الغزاة ..

بدأ الرئيس الأمريكى شديد العصبية والتوتر ،
عندما ظهرت صورته على شاشة الاتصالات الخاصة
المؤمنة ، فى حجرة رئيس الجمهورية المصرى ،
وانتقل توتره وعصبيته إلى صوته فى وضوح ، وهو
يقول :

- لست أدري لماذا طلبت إجراء هذا الاتصال
الخاص المؤمن . فى هذه اللحظات بالذات أيها
الرئيس .. أنت تعلم أن الأوتار كلها مشدودة إلى
أقصى حد ، ونحن ننتظر ظهور الغزاة فى أية لحظة ،
و ...

قاطعه الرئيس المصرى فى حزم :

- لقد وصلتنا معلومات جديدة .

هز الرئيس الأمريكى رأسه فى حدة ، وهو يقول :
- لا داعى لأية محاولة إقناع أخرى .. لقد ناقشنا
كل الأمور ، وخبرائنا أكدوا ما نعلمه تماماً .

سأله الرئيس المصرى :

- وماذا لو أن هناك وسيلة مؤكدة للنصر ؟!

هتف الرئيس الأمريكى فى عصبية :

- لن يمكنكم إقناعنا بهذا .

قال الرئيس المصرى فى هدوء :

- حتى ولو كان لدينا الدليل المادى على هذا .

اتفقد حاجب الرئيس الأمريكى ، دون أن ينبس
ببنت شفة . فتابع الرئيس المصرى فى شيء من
حماس :

- شاهد هذا أولاً .

قالها ، وضغط زرّاً على مكتبه ، فاطلق جهاز
بث خاص يعمل ، لينقل كل ما حملته الكرة المعدنية
إلى شاشة الرئيس الأمريكى ، الذى لم ينبس ببنت
شفة ، وهو يتابع المشاهد مبهوراً مبهوراً ، حتى
انتهى البث . فسأله الرئيس المصرى فى اهتمام :

- ما رأيك الآن ؟!

مضت لحظات من الصمت ، قبل أن يأتى صوت
الرئيس الأمريكى متحسراً مبحوحاً ، من فرط
الافتعال ، وهو يسأل :

- هل عرضت هذا على الآخرين ؟

أجاب الرئيس المصرى :

- على الروس والفرنسيين فحسب .

سأله الرئيس الأمريكى :

- وماذا كان جوابهم ؟

أجاب الرئيس المصري في حزم :

- سيضمنون إلينا .

مضت لحظات أخرى من الصمت ، تتحجج خلالها

الرئيس الأمريكي مرتين ، قبل أن يقول :

- أديكم خطة بعينها ؟

أجاب الرئيس المصري ، وهو يشير إلى وزير

الدفاع ، الذي يقف إلى جواره :

- بالطبع .. وسينقلها إليكم وزيرونا ، عبر الشبكة

المغلقة .

ثم انعقد حجاباه في حزم ، مستطرداً :

- ولو وافق الباقون ، فثقل أن الكفة ستتقلب تماماً

يا رجل .

ضمخ الرئيس الأمريكي :

- أتعلم هذا أيها الرئيس .. أتعلم هذا .

نطقها بصوت يحمل قدراً هائلاً من التوتر ..

والقلق ..

والإفعال ..

كل أفعال الدنيا ..

* * *

على الرغم من كل ما قاله (نور) وأوضحه ،

وما قدره (رمزي) وأشار إليه ، كان وقع المفاجأة

على الجميع قوياً للغاية ، وهم يحققون في ذلك الكائن

الواقف أمامهم ، بين الأليين ، بكل دهشتهم

واستنكارهم ..

كان كائناً بشري التكوين ، ضئيل القامة ، لا يزيد

طوله عن متر واحد ، يحتل رأسه الضخم ثلثه

تقريباً ، بعينيه الواسعتين الكبيرتين ، وأنفه الصغير ،

وفتحة فمه الشبيهة بشق عرضي رفيع ، بلا بروز

أو شفتين ..

وكان يرتدي زياً أزرق اللون ، يتناقض مع بشرته

الشاحبة ، الشبيهة بوجود الموتى ، وحذائه الأحمر

اللامع ، الذي يناسب مقياس طفل صغير ..

والدقيقة أو يزيد ، ظل الجميع يحققون في وجه ذلك

الكائن ، الذي عقد ترابيه الصغيرين أمام صدره ،

وهو يتطلع إليهم بدوره ، قبل أن يقول :

- لم يتوقع أحدكم هيلتي هذه .. أليس كذلك ؟

كان الصوت يخرج من فمه الرفيع ، إلى جهاز

صغير متصل برأسه ، فتتم ترجمة كلماته إلى اللغة

العربية ، التي تنقلها مكبرات صوت خفية ، فتكرّد
 في الحجرة كلها ، بصوت إلى مخيف ..
 وفي هدوء مستفز ، أجابه (نور) :
 - بلى .. ولكن هذا يوافق استنتاجاتنا .
 أدار ذلك الكائن عينيه إليه ، قائلاً :
 - من الواضح أنك أكثرهم ذكاءً .
 أجابه (نور) ، في شيء من السخرية .
 - ومن الواضح أيضاً أنكم تراقبون كوكبنا منذ زمن
 طويل ، فلديكم فكرة جيّدة عن طبيعتنا ، ولغائنا ،
 وأساليب تفكيرنا ، وإلا ما أجدتم حركم النفسية إلى
 هذا الحد .

هزّ الكائن رأسه ، وقال :
 - هذه الأمور تتشابه ، في الكون كله أيها الأرضي ..
 كل المخلوقات المفكرة تتأثر بالاختلالات المعنوية ،
 وبالكسوف من المجهول .. كلها يمكنك أن تهزم
 أعماقها ، قبل أن تواجهها وجهاً لوجه .. المهم أن
 تجد قواعد اللعبة .

قال (أكرم) في عصبية غاضبة :
 - هل تعتبر كل تلك المذابح الدموية مجرد لعبة ؟



ولديقة أو يزيد ، ظلّ الجميع يُحدّثون في وجه ذلك الكائن ،
 الذي عقد ذراعيه الصغيرين أمام صدره ..

أدار المخلوق عينيه الواسعتين إليه في بضع ،
وتطلع إليه بضع لحظات في صمت ، قيل أن يقول ،
عبر جهاز الترجمة الآلى :

- الحياة كلها مجرد لعبة .. أنتم أنفسكم
لا تعتبرونها أكثر من هذا ، وإلا ما أسأتم إليها إلى
هذا الحد .

اتخذ حاجبا (رمزي) وهو يتطلع إليه في اهتمام ،
في حين هتف (أكرم) في حدة :

- نحن نسعى إلى الحياة ؟؟ نحن ؟؟
أجاب الكائن ، وهو ينظر إليه بعينه الواسعتين في
صرامة :

- بالتأكيد .. ألا تدركون حقا ما تفعلونه بكميكم ؟؟
آلاف .. بل ملايين الأطفال من الفئات المسامة ،
تطلقونها من آلتكم ومركباتكم ، ومنازلكم كل يوم ..
مئات الجالونات من النفايات الكيماوية تلقى في
المحيطات والبحار والأنهار كل دقيقة .. آلاف
الكيلوجرامات من المواد المشعة يتم دفنها في رمال
الصحراء كل يوم .. غابات بأكملها تتم إبانيتها ، من
أجل أخشابها .. مبيدات حشرية تنطلق في كل ركن ..

أسعدت كيماوية تغذى طعامكم وطعام حيواناتكم
وماشيتكم ، التي تتغذون عليها .. نباتات غير طبيعية ،
تنشأ من تجارب الجينات وهندسة الوراثة والاستمساخ
كل دقيقة .. هل تصوّرتم أن هذا سيبقى عالمكم على
حاله ، مهما طال الزمن ؟؟ خطأ .. خطأ .. خطأ ..
إنكم تدمرون الطبيعة حولكم في بضع ، وكل ما أفضه
هو أن أعجل بالنتائج .

قال (نور) في حدة :
- يابى حق ؟؟ أتصوّر نفسك إلها ، بحق له تقرير
مصائر الآخرين ، لمجرد أن أحوالهم لا تروق له ..
حتى الإله (سبحانه وتعالى) لا يفعل هذا ..
قال الكائن ، وقد أظن غضبا عجيب من عينيه
الكبيرتين :

- من لا يحافظ على كوكبه ، لا يستحق العيش
على سطحه .
ثم تقدّم داخل الحجرة ، وتبعه الأليان ، وهو
يواصل :

- أنتم تمتلكون نعمة لا تدركونها .. عالم بأكملة ،
توفرت فيه كل سبل العيش .. كل شيء فيه متقن ،
متناغم ، متوازن ، متكامل .

غضبت (سلوى) فى حزم :

- لأنه من صنع الخالق (عز وجل) :

لواح بيده ، قائلا :

- وعلى الرغم من هذا ، فأنتم تدمرونه بلا هوادة ..
كم من الحيوانات والطيور شارفت على الانقراض ؟
لأنكم لحقتم بمدبنتكم إلى مواطنها الطبيعية ؟ كم من
البشر سحقتموهم فى حروب طاحنة ، من أجل مطامع
استعمارية واقتصادية ؟ بل كم منهم يموت جوعاً
وعطشاً فى كل ساعة ، وغيره يعانى من التخمسة
والإسراف ؟ كم .. وم .. وم .. لو بدنا فى تعداد
ما ترتكبون من أخطاء وموبقات ، لن يتبقى العمر كله
لهذا .

ترداد العقاد حاجبى (رمزى) ، وهو يتطلع إليه ،
فى اهتمام قلق ، فى حين قالت (نشوى) فى حدة :
- ربما تكون قد ارتكبنا عشرات الأخطاء بشأن
كوكبنا ، ولكن حتى هذا لا يمنحك الحق فى الإساءة
إليه بأية صورة من الصور .

التفت إليها فى حزمة حادة ، قائلا :

- ومن يمكنه إقرار هذا ؟ أنت ؟

تقدم (أكرم) نحوه ، هاتفاً فى شراسة :

- وليس أنت بالتأكيد .

تراجع الكائن فى سرعة ، وهو يشير بيده
الصغيرة ، قائلا :

- إياك حتى أن تحاول .. الأليان سيسحقان كل من

يحاول الاقتراب منى أو إيذاى .

هتف (أكرم) فى حدة :

- من الواضح أنك تعتمد كثيراً على الآلات .

ارتفع المدفعان الأليان فى وجهه بسرعة ، وهتف
الكائن :

- لقد حذرتك .

صاح (أكرم) فى غضب :

- ومن قال : إننى أهتم ؟

أسسك (نور) ذراعه فى قوة ، وهو يقول فى
صراسة :

- تما لك نفسك يا رجل .. لا تمنحه المبرر لقتلك .

قال (أكرم) فى عصبية :

- وهل تعتقد أنه سيقبض علينا ؟

أدار (نور) عينيه إلى الكائن ، قائلا :

- إنه يبقى علينا لسبب ما .

اعتدل الكائن ، وعاد يعقد ساعديه أمام صدره ،
وهو يقول :

- بالتأكيد .

قال (نور) فى هدوء :

- وهذا السبب يندرج تحت قائمة السادية نفسها
بالتطبع .

صمت الكائن بضع لحظات ، قبل أن يجيب ، عبر
جهاز الترجمة الآلى :

- عالمنا لم يعرف أبدا هذه المصطلحات المعقدة ،
لشرح طبيعة التفكير والمشاعر ، ولكن قدومكم إلى
هنا ، فى مهمة انتحارية كهذه ، يعنى أنكم فريق
خاص للغاية ، ثم إن مركبتكم الفضائية كانت مزودة
بأجهزة خاصة ، يمكنها إغلاق ما تطلقون عليه اسم
(طريق النجوم) إلى الأبد ، مع كل ما يحمله هذا
من احتمالات عدم عودتكم ، إذن فأنتم انتحاريون ،
لا قيمة لحياتكم نفسها عندهم .

قال (نور) فى حزم :

- فى سبيل الواجب .

تابع الكائن ، وعائنه لم يسمعه :

- وبالتالى ، لن يضيقكم أن أقتلكم هنا قوفاً .. ولن
يفيدنى هذا أيضاً .

تساءلت (نشوى) فى توتر :

- أتعنى أنك لن تقتلنا ؟

أجاب (رمزى) فى سرعة :

- بل سيفعل .

استدار إليه الجميع فى دهشة ، وبدأ توتر ملحوظ ،
فى عيني الكائن الواسعتين ، فتابع (رمزى) فى
حزم :

- ولكن بعد أن يتنصر فى معركته ، ويضمن فناء
الأرض .

ازداد التوتر المطلق من عيني الكائن ، وهو يقول :

- آه .. من الواضح أنك أيضاً عبقري ، من طراز
آخر .

أجاب (رمزى) فى حزم :

- بل خبير بنفسى ، انتبه على التور فقط إلى ظاهرة
عجيبة ، من ظواهر الكون ، تثبت وحدة خالقه (عز
وجل) ، ألا وهى اشتراك كل مخلوقاته (سبحانه)

في منوال واحد .. لقد كنت أنتطلع إليك طوال الوقت ،
محاولاً إلغاء صورتك من ذهني ، وتحليل تصرفاتك
بصورة مجردة ، ولقد أوصلتني هذا إلى أنني أمام
شخص وحيد ، مغزول .. عانى طويلاً وكثيراً ، حتى
استأثرت نفسه بالمقت والغضب ، والكراهية لكل
الأسباب ، التي أدت به إلى وحدته هذه ، فاختل عقله ،
وقرر الانتقام من كل من يقترب من هذه الأسباب ،
في أية نقطة يمكنه بلوغها من الثكون .

استمع إليه الثكان في صمت مشوب بالحذر ، وإن
ثم ذلك التوتر في عينيه الواسعتين على أن (رمزي)
ينطق صدقاً ، حتى أن (أكرم) تساءل في عصبية
متوترة :

- ماذا تعني بكلمة الوحدة هذه ؟ ألا يتفق مع بنى
قومه .

هز (رمزي) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- ألم تدرك الأمر جيدًا يا صاح ؟

غمغم (نور) :

- أنا أدركته منذ البداية .

حدثني فيه (أكرم) لحظة ، قبل أن يقول :

- ما الذي أدركتهما بالضبط ؟

أجاب (نور) ، وهو يشير إلى الثكان :

- لا توجد مخلوقات حية أخرى في هذه السفينة ..

إننا نقف أمام العقل الحي الوحيد بها .

تألفت عين الثكان ، عندما نطق (نور) بعبارة

هذه ، في حين استدار إليه الجميع ، يحدقون فيه

بدهشة بالغة ، فالتفت إليه (نور) ، قائلاً :

- أليس كذلك ؟

صمت الثكان بضغ لحظات ، قبل أن ترسم على

ذلك الشق في وجهه شبح ابتسامة ، وهو يجيب :

- بل خطأ .. استنتاجهم خاطئ تمامًا هذه المرة .

قائلها ، وفرق سنابته وإبهامه ..

ومع الفرقة ، صدرت تلك الزمجرة مرة أخرى ..

ثم ارتفعت جدران الحجرة في بطم ..

واتسعت عيون الجميع بدهشة عارمة ..

فما رأوه خلف تلك الجدران كان مدعشنا ..

بحق .

* * *

٨ - أعماق الزمن ..

في حياة كل إنسان مشاهد بعينها ، لا يمكنه
نسيانها قط ، وإن طال به الزمن ..

مشاهد عذرت في أعماقه آثاراً لا تتمحى ..
والغوست في كياته ..

حتى النخاع ..

ومن المؤكد أن ذلك المشهد ، الذي وقعت عليه
عيون (نور) ورفاقه ، داخل سفينة الفزاة ، كان
أحد تلك المشاهد ، التي سجلتها عيونهم ، واختزلتها
عقولهم ، وستبقى فيها إلى الأبد ..

فأمام عيونهم ، كان هناك جدار كامل من الزجاج ،
يحمي مجموعة من اثنتي عشرة أسطوانة شفافة ،
رقد داخل كل منها مخلوق مشابه تماماً لذلك الذي
يقف أمامهم ..

بل يتطابق معه تمام التطابق ، وكأنهم جميعاً نسخ
من رجل واحد ..

وكان من الواضح أنهم إما موتى ، أو غارقون في
غيبوبة عسيفة ..

عسيفة للغاية ..

وغير المترجم الآلى ، راح المخلوق يقول ، وهو
يسير إلى جوار الجدار الزجاجي ، يتبعه حارساه
الآليان :

- ما ترونه أمامكم آخر السلالة الحاكمة في كوننا ،
بعد أن أفسدنا بيئته ، بنفس ما أفسدتم به بيئكم ،
حتى كُنت كل صور الحياة على سطحه .. كنا نعلم منذ
فترة طويلة أن النهاية آتية لا ريب ، بعد أن اقتعش
غلافنا الجوي ، ولم تتجح تكنولوجيتنا كلها في إنقاذه
وإنقاذنا ، لذا فقد صنعنا سفينة الفضاء الصلابة هذه ،
يكل ما تبقى من مواردها ، وزودناها بتلك المقاتلات
الآلية ، والهياكل الزائفة ، وكل وسائل التمويه
والخداع اللازمة ، لأن مشاهدتنا أثبتنا بأن الحجم
يمثل أهمية بالغة ، في كل أنحاء الكون ..

غمغم (رمزي) :

- وهذه هي العقدة الفلسفية ، التي تحكم تصرفاتك .
تجاهله المخلوق تماماً ، وهو يتابع :

.. وعندما حانت لحظة النهاية ، مع انهيار الغلاف
الجوى ، وتهمار الأشعة الكونية على كوكبنا ،
انطلقت بنا سفينة الفضاء ، المصممة بحيث تعيش
لقرون من زمنكم فى الفضاء السحيق ، حاملة آخر
من تبقى من سلالتنا الملكية .
قال (نور) :

.. أراهن أنكم تركتم الباقين خلفكم ، لتحصدهم
الأشعة الكونية بلا رحمة .

أجابه المخلوق :

.. لم يكن هناك مكان يتسع للجميع ، وكان من
الضرورى إتخاذ السلالة الملكية وحدها .

قالت (سلوى) فى حدة :

.. موقف بالغ الأنانية والظفیان ..

أشار (رمزي) إلى الأسطوانات الشفافة ، وهو
يقول :

.. ما أمامك هو صورة أكثر وضوحاً للثانوية
والظفیان .. لقد استخدموا تكنولوجيا الاستسآخ ،
لصنع نسلهم الملكى كله ، وكأنما يرفضون حتى أن
تمتعهم الطبيعة هباتها .

قال المخلوق ، وهو يلتفت إليه :

.. آية هيات ؟! كلنا من نسل والدنا العظيم ، الذى
تحقق له الكمال كله .. القوة والذكاء ، و ...
قاطعه (أكرم) :

.. الكمال لله (سبحانه وتعالى) وحده يا هذا .

رمقه المخلوق بنظرة عجيبة ، تحمل شيئاً من
العقت ، قبل أن يقول :

.. المهم أننا انطلقنا فى الفضاء ، بحثاً عن عالم
جديد ، يصلح لحياتنا ، ولاستمرار نسلنا ، وكان من
الممكن أن يتحقق لنا هذا ، لولا (بيتنا - تو) .

سأله (أكرم) فى عصبية :

.. ومن (بيتنا - تو) هذا ؟! أحد حكام الملكيين ؟!
تابع المخلوق ، وهو يواصل سيره إلى جوار الجدار
الزجاجى ، محاولاً تجاهل تعليقات (أكرم) اللاذعة :
.. (بيتنا - تو) هو نوع من الفيرسات (*) ، التى

(*) الفيروسات : مجموعة جراثيم دقيقة جداً ، لا يرى
معظمها بالمجهر الضوئى العادى ، ويمكنها فى العادة التكاثر من
الروشح البكتيرية ، والفيروسات خصائص للكائنات الحية ، ولكنها
لا تنمى أو تتكاثر إلا متطفلة على نوع من الخلايا الحية .

نمت في عالمنا ، مع انهيار غلافه الجوى ، وراحت
تنتشر في شعبنا انتشار النار في الهشيم .. ولقد
تصورنا أننا ، كسلاة منكبة ، بمنأى عن الإصابة
بها ، حتى كشفنا فجأة أنها قد توغلت في أجسادنا ،
وصار مصيرنا الموت حتمًا .
ثم استدرد يتطلع إلى الأسطوانات الشفافة ،
مستطردًا :

- لهذا اتخذوا قرارًا بأن يتم تجميد أجسادهم ، حتى
تبلغ كوكبنا ، يمكننا فيه أن نبحث عن علاج للمرض .
قال (رمزي) في بطنه :

- وكان عليك أن تبقى ، لتقوم بعملية التجميد هذه .
صمت الكائن لحظة ، قبل أن يجيب :
- قمنا بعمل اقتراح ، ووقع الاختيار على اللبقاء ،
والقيام بعملية التجميد .

قال (رمزي) بلهجة ساخرة ، أدهشت الجميع :
- وهذا يشير غضبك ومقتك إلى أقصى حد .
بدا التوتر أكثر وضوحًا ، في عيني الكائن ، وهو
يتطلع إلى الأجساد المجمدة أمامه ، قائلاً :
- لقد أجبروني على القيام بالمهمة ، لأننى أصغرهم

سنا .. تصوروا أنهم قادرون على قهرى ، وتركى
خلفهم ، أعانى الألم والعذاب ، مع (بينا - تو) ،
حتى أجد كوكبًا صالحًا لحياتهم .
قال (رمزي) بنفس اللهجة :

- ولكنك ستتقم منهم جميعًا .. ستسحق كل صور
واحتسالات الحياة ، على أى كوكب يصلح لهم ، حتى
ينتهى أمرهم تمامًا .. إنك لم تغفر لهم قط ما فعلوه
بك .

استدرد إليه الكائن في بطنه ، وتطلع إليه بضع
تحفقات ، قبل أن يقول :

- كيف تفعل هذا بالضبط ؟ كيف يمكنك قراءة
أصاقي على هذا النحو ؟

قال (نور) فى حزم :

- أخبرناك أنه خبيرنا النفس .

قال بسرعة :

- وأنا أخبركم أننا لا نجيد فهم هذه الأسور .

هتف (أكرم) فى حدة :

- من الواضح أنك لا تجيد سوى القتل والتدمير

فحسب .

أشار المخلوق بيده إلى ما حوله ، قائلاً :

- إنها أفضل لعبة أجيدها ، منذ زمن طويل .. كل ما تروونه حولكم عبارة عن عقل آلى عساق ، متخصص في استراتيجيات الحرب والقتال .. وهو الذي يعد الخطوة كلها ، من الألف إلى الياء ، يعد أن لوؤده بكل المعلومات اللازمة ، عن العالم الذي أسعى لإفتاله .

قالت (سلوى) بصوت مبسوح :

- اتعنى أننا لسنا أول عالم تسعى خلفه ؟
رسم تلك الشق في وجهه ابتسامة مزهولة ، وهو يجيب :

- لقد أفنيت عالمين كاملين من قبل .

احتقن وجه (أكرم) ، وهو يقول في حدة :

- أيها الحقير .. أتزهو بوحشيتك هذه ؟؟

صاح به (نور) :

- اهأ يا (أكرم) .. لا تمنحه الـ ..

صرخ (أكرم) :

- أمنحه ماذا يا (نور) ؟؟ أظن هذا الضئيل

الحقير يفكر ، ولو لحظة واحدة ، في إيقاننا على قيد الحياة ، بعد أن يسحق كوكبنا ؟؟

قال الكائن في بضع :

- استنتاج آخر خاطئ .

التفت إليه (أكرم) ، هاتفاً في حدة :

- هل تراهن ؟؟

أجابه الكائن :

- إننى أتوى ترككم بالفعل على قيد الحياة ، بعد

قضاء كوكبكم .

ثم تألفت عيناه الواسعتان بهريق وحشى مخيف ،

وهو يكمل :

- ففكرة إطلاقكم في الفضاء اللاهثى ، بعد أن

فقدتم كل مكان يمكن أن تلجأوا إليه ، تشير في نفسى

سعادة أكبر .

اتسعت عيونهم في دهشة ، وتبادل (نور) و (أكرم)

نظرة متوترة ، قبل أن يقول هذا الأخير في غضب

هانر ، وهو يتجه نحو الكائن :

- أيها الحقير الـ ..

قاطعه (نور) ، وهو يجذبه في حدة :

- قلت لك : اهأ .

استدار إليه (أكرم) ، صارخاً :

- لا شأن لك بهي .

أطلق صرخته ، ثم انقض على (نور) في شراسة عجيبة ..

واشتبك الاثنان في قتال عنيف مباغت ..
عظيب للغاية ..

ومباغت تماما ..

* * *

كان الموقف عجيبا بحق ..

(نور) و (أكرم) .. اللذين كانا .. الصديقان يتصارعان ، بمنتهى العنف والشراسة ، وسط رفاقهما ، وأمام عيني مخلوق فضائي ساذي عجيب ، تألفت عيناه الواسعتان في نشوة ، وهو يراقب ذلك الصراع ، وكأنما يستمتع بكل لحظة ..

أما (سلوى) و (نشوى) ، فقد أصابهما الغزع والذعر لما يحدث ، وصرخت الأولى ، وهي تتراجع في حدة :

- (نور) .. (أكرم) ! ماذا أصابكما ؟!

وصاحت (نشوى) :

- يا إلهي ! ماذا يحدث ؟! ماذا يحدث ؟!

(رمزي) وحده ظل صامتا ، معقود الحاجبين ، يراقب المشهد باهتمام شديد ، وكأنها دراسة خاصة ، يحرص على استيعابها جيذا ..

وفي شراسة مذهشة ، اشتبك (نور) و (أكرم) ، وراحا يتدافعان في عنف ، و ..

وفجأة ، وعندما صارا على مسافة مترين لحسب من ذلك الكائن الفضائي ، انفصلا عن بعضهما البعض ، ووثبا نحوه في آن واحد ..
وكانت مفاجأة للجميع ..

حتى الآتين ..

ففي جزء من الثانية ، كان (أكرم) يحمل ذلك الكائن بتراعه اليسرى ، ويحيط عنقه بمساعدته الأيمن ، هائلا في سخرية :

- يبدو أن العقول الآلية ما زالت تتفوق أيها الوغد.
تحرك الآليان في سرعة ، وارتفعت قوتها مدفعيهما الليزرية في تحفز ، فجذب (نور) الكائن أمامهما ، وهو يقول في صرامة :

- هيا .. أخبرهما أنه من المستحيل أن يقتلا سيدهما .

هتلت (سلوى) مبهورة :

- يا إلهى ! إننى فهى خدعة .

أجابها (رمزى) مبتسماً :

- بالتأكيد يا (سلوى) .. ماذا تصوّرت ؟

ألتت (نشوى) رأسها على صدره ، هاتفة بصوت

أشبه باللهات :

- حمداً لله .. حمداً لله .

أما الكائن ، فقال فى غضب :

- هل تتصوّرون أن هذا يمكن أن يكفل لكم النصر ؟

أجابها (نور) :

- كنا واثقين من أن حارسيك الآليين لن يجرؤا

على إطلاق أشعة مدفعيهما ، ما دما نحتسب بجسدك .

قال فى هدوء ، عبر عنها ارتفاع صوت المترجم

الآلى :

- إنكما تسيبان تقدير الأمور .

ضغط (أكرم) بساعده على عنقه أكثر ، وهو

يقول :

- بل من الواضح أنك كنت تسيء تقدير قدراتنا .

قال الكائن :

- ما تفعلته لن ينقذكما .

أجابها (نور) فى هزم :

- دنا نجارف .

هز رأسه فى هدوء ، هاتفاً :

- لن يفتنكم هذا .

ثم عادت عيناها تتألقان ، وهو يضيف :

- هل تعلمون ما أفضل شيء فى التعامل مع

الآلات ؟ أنها لا تحمل فى أصابعها أية مشاعر ..

على عكسكم تماماً أيها البشر ، الذين تسيطر عليهم

عواطفهم دائماً .

أعتقد حاجبا (رمزى) فى شدة ، فى حين تابع

الكائن :

- ربما كنتما تحتيمان بجسدى ، ولكن رفاقكما

ليسوا كذلك .

وأدار عينيه إلى الحارسين الآليين ، مستطرداً :

- افتكوا الباقين .

ولم يكد قوله يكتمل ، حتى استدارت فوهتها

المدفعين الليزيريين ، نحو (رمزى) و (سلوى)

و (نشوى) ..

وصرخت (سلوى) ..

وشهقت (نشوى) ..

وترجع (رمزى) فى عنف ، و ..

ووثب (نور) ..

ووثب كنمر ثائر ، يدافع عن حياته ، وكيانه ..

وأسوته ..

وبكل قوته واندفاعه ، اصطدم بأحد الآليين ،

ودفعه أمامه فى عنف ، ليرتطم بالآلى الآخر .

ويسقط الجميع أرضاً ..

وفى نفس لحظة سقوطهما ، دفع (أكرم) ذلك

المخلوق جانباً ، بمنتهى العنف والقسوة ، ووثب نحو

الآئين بدوره ، صالِحاً :

- قاتل يا (نور) .. يمكننا أن ننتصر يا فتى ..

استدار إليه أحد الآئين ، وأطلق حزمة ليزر من

مدفعه ، تفاداهما (أكرم) باتخاذ سريعة ، فواصلت

طريقهما ، لتتسبب الجدار الزجاجى السميك ، الذى

يحمى الأسطوانات الشفافة ، وتفجّر شظاياها فى كل

مكان .

أما الآلى الثانى ، فقد لطم (نور) بيده لكمة قوية ،



وفى نفس لحظة سقوطهما ، دفع (أكرم) ذلك المخلوق جانباً ،

بمنتهى العنف والقسوة ، ووثب نحو الآئين بدوره ..

أقلت هذا الأخير مترين كاملين إلى الخلف ، ليسقط
على قيد متر واحد من الأسطوانات الشفافة ، فصبوب
إليه الآلى مدفعه الليزرى ..
وأطلقه ..

ووثب (نور) مرة أخرى ..

وثب محاولاً تقادى الطلقة ..

ولكنه شعر بخيط من النار يخترق ذراعه اليسرى ،
ورأى الدماء تتدفق منها في عنف ، في نفس اللحظة
التي وثب فيها (أكرم) نحو الآلى الآخر ودفعه أمامه
في قوة ، صائحاً :

- أيها الأوغاد .. أيها الأوغاد ..

وبمنتهى العنف ، ارتطم الآلى بزميله ، وسقط
الإنسان أرضاً ..

ثم نهضا بسرعة مذهشة ..

وانطلقت أشعة مدفعيهما مرة أخرى ..

وفي هذه المرة ، شعر (أكرم) بلخذه يتمزق ،
ورأى جسد (نور) يتدفع إلى الخلف في عنف ،
ليرتطم بالجدار ، ثم يسقط أرضاً ، و (رمزي) ينقض
على أحد الآليين ، في حين تعدو (سلوى) و (نشوى)
مبتعدتين في رعب ..

وأمام عينيه ، وقبل أن ينهض (نور) ، رأى (أكرم)
الآلى يحمل (رمزي) في خفة ، ثم يلقي به نحوهما
في عنف ..

وفي نفس اللحظة ، التي ارتطم فيها جسد (رمزي)
بالأرض ، بمنتهى القوة والعنف ، اعتدل الآليان ،
واتجهتا فوهتا مدفعيهما الليزريين نحو الرجال
الثلاثة ، و ..

وأصبح من الواضح أن الفريق يستعد لتلقى هزيمة
فادحة ..

أعنف هزيمة في تاريخه ..

وأفدحها ..

شيك القائد الأعلى أصابع كفيه أمام وجهه ، في
توتر بالغ ، وهو يراقب شاشة الرصد الكبيرة ، التي
تنقل المشهد كاملاً ، واعتقد حاجبها في شدة ، على
نحو جعل الدكتور (جلال) يقول :

- اطمئن أيها القائد .. كل شيء يسير على ما يرام ..

هز القائد الأعلى رأسه ، قائلاً :

- لا يمكنك الوثوق ، قبل أن يتحسم الأمر تماماً ..

تنهّد الدكتور (جلال) ، وغمغم :
 - لقد تمّ التنسيق بين كل الجبهات ، وسنقاتل كلنا
 كيد واحدة :
 وافقه القائد الأعلى بإيماءة من رأسه ، قائلاً :
 - وربما لأول مرة في التاريخ :
 قال الدكتور (جلال) في خفوت :
 - هذا صحيح .
 غلفهما الصمت بضغ لحظات ، وهما يراقبان
 ما يدور على الشاشة ، قبل أن يزدود الدكتور (جلال)
 لعبابه في صعوبة ، متسائلاً :
 - هل تعتقد أننا سنراهم مرة أخرى ؟؟
 سأله القائد الأعلى في اهتمام :
 - من ؟؟
 أشار بيده ، قائلاً :
 - (نور) ورفاقه .
 تراجع القائد الأعلى ، حتى ألصق ظهره بمقعده ،
 وهو يقول :

- من يدري ؟؟

هز رأسه ، قائلاً في أسى :

- سجلاتهم تؤكّد أنهم قد تجاوزوا مواقف شديدة
 الصعوبة من قبل .
 صمت القائد الأعلى قليلاً ، ثم قال في مرارة :
 - ليس في كل مرة تسلم الجرة -
 عاد الدكتور (جلال) بهز رأسه ، غتمتماً :
 - يا للخسارة !
 اعتقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يميل مرة أخرى
 إلى الأمام ، ويتطّلع إليه في دهشة متسائلاً ، قبل أن
 يقول في حذر :
 - ظننتك لا تعيل إليهم .
 أجابه في مرارة :
 - لم أكن أفهمهم جيّداً .
 ثم نهض من مقعده ، وتحرك مبتعداً ، وكأنما
 يحاول إخفاء مشاعره وانفعالاته ، وهو يتابع :
 - الدكتور (ناظم) ، الذي تسبّبوا في إقالته^(*) ،
 كان صديقاً عزيزاً ، حتى أنسى شعرت بالكراهية
 تجاههم ، من جراء ما فعلوه به .

(*) راجع قصة (الغزاة) .. المغامرة رقم ١٢٤

قال القائد الأعلى :

- الدكتور (ناظم) ارتكب ما يستحق عليه ما حدث

هز الدكتور (جلال) رأسه ، قائلاً :

- لم يمكنني استيعاب هذا وقتها .

سأله القائد الأعلى :

- وما الذي جعلك تستوعبه الآن ؟

أجاب في سرعة :

- الغزاة .

ثم صمت لحظة ، شرد خلالها بصره ، قبل أن

يتابع في مرارة :

- أنا مثل الجميع ، امتلأ قلبي بالرعب والغزع ، مع

مقيم الغزاة ، واستعاد عقلي كل العذاب والجحيم ، اللذين

عانيتهما من الغزو السابق^(*) ، وعلى الرغم من هذا ،

وعلى الرغم من أن مذكورات وزواياك شبيه (نور)

المعكوس كانت تضاعف من الرعب والذعر ، إلا أن

الفريق كله لم يتردد لحظة واحدة ، في القيام بمهمة

انتحارية ، قد لا يعود منها أبداً ، في سبيل إبقاء

الأرض .. في سبيل براء الخطر عنى وعنك وعن الجميع .

(*) راجع قصة (الاحتلال) - المغامرة رقم ٧٩

والتقط نفساً عميقاً ، ملأ به صدره عن آخره ، ثم

أضاف في حسم :

- كانوا أبطالاً ، لم ألتق بمثلهم من قبل قط .

ارتسمت ابتسامة متألقة على شفתי القائد الأعلى ،

وهو يقول :

- إليهم كذلك دائماً .

تمتم الدكتور (جلال) :

- بالتأكيد .

لم يجد يتم عبارته ، حتى نقلت الشاشة دويًا

مكتومًا ، مع صوت أخذ العلماء ، وهو يقول في

انفعال :

- اختراق طريق النجوم سيتم خلال عشرين ثانية ..

احتبست أنفاس القائد الأعلى ، والدكتور (جلال) ،

وهما يتطلعان إلى الشاشة الكبيرة ، في حين تردّد

العد التنازلي بسرعة بدت لهما مخيفة ..

تسع عشرة ثانية ..

ثمان عشرة ..

سبع عشرة ..

وراح قلباهما يخفقان في عنف ، مع اقتراب لحظة
الصفر ..

سبع ..

ست ..

خمس ..

أربع ..

ثلاث ..

اثنان ..

ثانية واحدة ..

ثم دوت فرقة أكثر عنفا ، أعقبها صوت كهزيم
الرعد ، ارتجت له حجرة القائد العام كلها في عنف ..

عنف يعلن أن ساعة الخصم قد حانت ..

ولأن القدر سيصدر حكمه أخيرا ..

فإما الأرض ..

أو الغزاة ..

* * *

من المؤكد أن نتائج المواجهة المباشرة ، بين
البشر والآلات المقاتلة ، لا يمكن أن تحسم أبدا لصالح
البشر ..

في الظروف العادية ..

فالآلات المقاتلة ، كما يؤكد ذلك المخلوق الفضائي ،
تتحرك بسرعة أكبر ، دون أية مشاعر أو انفعالات ،
لتحقيق هدف واحد ..

القتل ..

قتل الخصم ..

أيما كان ..

وأيما كانت الظروف والملابسات ..

ربما كان هناك أمل للبشر ، في القتال طويلا
المدى ..

حيث توجد مساحة للتروى والتفكير ..

والمراوغة ..

والمناورة ..

والخداع ..

وحتى في هذه الحالة ، ستكون احتمالات النصر
ضئيلة ..

أما في المواجهات المباشرة ، فالاحتمالات تقترب
من الصفر ..

وربما أقل ..

هذا بالضبط ما دار في رأس (نور) ، في جزء
من الثانية ، عندما شاهد الفوهتين القاتلتين تتطلعان
تحوه ونحو رفيقيه مباشرة ..

وتوقع أن تنطلق حزم الليزر منهما على الفور ..
دون إبطاء ..
أو رحمة ..

ورأها يعين الخيال تصحى ثلاثتهم ، و ..
ولكن الآليين انتفضا فجأة ..
وتألفت عيونهم الآلية بشدة ..

ثم تجمدا في مكانيهما ، كما لو أنهما قد تحولتا إلى
تمثالين من الصلب .
وبكل دهشته ، هتف (أكرم) ، وهو يمسك جرح
فخذه في ألم :

- رباه ! ماذا أصابهما ؟؟

أتاه صوت (سلوى) من خلفه ، يقول في عصبية :
- لقد أفسدت عملهما .

التفت الجميع إليها في دهشة ، وهتف (نور) :
- أفسدت عملهما ؟؟ ولكن كيف ؟
أجابته بصوت يحمل مرارة عجيبة :

- أطلقت ذنبية خاصة ، شلت أجهزتهما ، وعطلتهما
عن العمل .

سألها (رمزي) في حيرة متوترة :

- ومن أين حصلت على تلك الذنبية الخاصة ؟؟
أشارت إلى الكمبيوتر المسئول عن إعاشة تلك
المخلوقات المتجمدة ، دون أن تبتس ببنيت شفة ،
وشفتاها ترتجفان في شدة ، فالتفت عينا (نور) ،
وهو يقول :

- رباه ! لقد فصلت عنهم الجهاز الإنقاذي !

قالت (نشوى) في عصبية :

- لم يكن أمامنا حل آخر .

ثم انفجرت بانكية بغتة ، مضيفة في انهيار :

- كنا أمام خيار واحد لا غير .

وأثقت نفسها بين ذراعي زوجها ، وراحت تبكي
في سرارة ، في حين ارتجفت الكلمات على شفتي
(سلوى) ، وهي تقول :

- إما نحن أو هم .. لم يكن لدى خيار .

واغرورت عيناها بالدموع ، وهي ترفعهما إلى
(نور) ، مكررة بصوت أكثر ارتجافا :

.. لم يكن لدى خيار يا (نور) ..

ثم دفنت وجهها بين كفيها ، وانخرطت في بكاء
خار ، فاحتواها (نور) بين نراعيه ، وهو يضمهم في
حنان مشفق :

.. نعم يا عزيزتى .. لم يكن لدينا خيار .. ومن
يدري ؟ ربما كان هذا هو الجزاء العادل الذى
يستحقونه ، من الله (سبحانه وتعالى) ، جزاء
ما اقترفته أيديهم في حق شعوبهم ، و ...
قبل أن يتم عبارته ، ارتفع صوت (رمزي) ،
وهو يهتف فجأة :

.. رباه ! أين ذلك المخلوق ؟ !

تلقت الجميع حولهم في دهشة مذعورة ، وهتف
(أكرم) في غضب :
.. ذلك الوغد !

لم يكذبتم قوله ، حتى نقل جهاز الترجمة الآلى
ضخمة مجلجلة ، أعقبها صوت يقول :
.. أنا هنا ، في مكان ما داخل سفينتى ، لن يمتكنكم
التوصل إليه قط .. لا تتصوروا أن سخافاتكم هذه
تضئ أنكم قد انتصروتم على .. محال .. محال .. محال ..

ما من بشرى يمكن أن يهزمنى قط .. أشفائى لقوا
جزاءهم بالفعل .. وهم يستحقونه .. أما أنا ، فسأحيا
حتى آخر قطرة دم ، يلتهمها ذلك الفيروس الحقيق ..
صاح (أكرم) :

.. أتمنى أن تتعذب في كل لحظة أيها الوغد ..

أجابه المخلوق ، عبر جهاز الترجمة الآلى :

.. على الأقل سأبقى بعد أن تذهب أنت .. إننى
داخل سفينتى ووطنى ، أما أنتم ، فعلى بعد سنوات
ضوئية من عالمكم ، دون وسيلة واحدة للعودة إليه ..
هتف (نور) :

.. من يدري ؟ !

أجابه في سرعة :

.. أنا .. أنا أرى ..

ثم اقتسب الصوت الآلى رنة عجيبة ، وهو يضيف :
.. وأعلم أنها نهايتكم ..

مع آخر حروف كلماته ، بلغ مسامعهم وقع أقدام
معدنية ثقيلة تقترب ، من القاعة التى يقفون فيها ..
ودوت انفجارات مختلفة ، انفجر بعدها باب القاعة
تماماً ..

وبرز عنده عشرة من المقاتلين الآليين ، بمدافعهم
الليزرية القوية ..

وارتفعت ضجعات ذلك المخلوق ، وهو يهتف في
ظفر ، عبر جهاز الترجمة الآلى :

- لقد خسرتم أيها الأرضيون .. خسرتم ..

وارتفعت ضجعاته الظافرة أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *



٩ - الختام ..

فجأة ، ارتجعت سفينة القزاة في عنف ..

وعبر ممر الهبوط الطويل فيها ، ترنّد صوت أشبه
بفرقة متكومة ..

واتسعت عيون الجميع في دهشة ، و (سلوى)

تهتف في التفعال ، انتفض معه جسدها كله :

- رياه ! هناك قوة هائلة ، اخترقت طريق النجوم

على التبو .. مع هتافها ، وكأنا تلقوا جميعا أسرا

عاجلا ، تراجع المقاتلون الآليون ، واتجهوا نحو

ممر الهبوط في سرعة ، على نحو يوحى بأن

برنامجهم يضع النفاخ عن السفينة ، على رأس قائمة

الأولويات ..

مهما كانت الظروف ..

وهتف (نور) ، وهو يعدو خلفهم :

- رياه ! يبدو أن ما كنت أتوقعه قد حدث يا رفائى ..

تبعة الجميع إلى قاعة أخرى ، تتصل بممر الهبوط ،

ولها جدار زجاجي ضخم ، يطل على الفضاء السحيق ،
و (أكرم) يتساءل في انفعال :

- وما الذي كنت تتوقع حدوثه يا (نور) ؟
يدا الارتياح في وجه (نور) وصوته ، وهو يتطلع
عبر الجدار الزجاجي ، سجيناً :

- أن تصل إلينا وسيلة العودة إلى الأرض .
ومع جوابه ، اتسعت عيون الجميع ، في دهشة
وتبهار ، وانطلقت من حلقهم ، على الرغم منهم ،
شهقة قوية عنيفة ..

فأمام عيونهم ، وعبر الجدار الزجاجي السميك ،
كانت هناك أسراب هائلة من المقاتلات الأرضية ،
تنقض على سفينة الغزاة ..

أكثر من مائتي ألف مقاتلة أرضية فضائية ، تحمل
خليطاً من أسلحة معظم دول كوكبنا ، تشتبك مع
مقاتلات الغزاة ..

الحقيقية ..

كل أسطول الأرض الفضائي يضرب ضربه ..
ويواجه المقاتلات الآلية ..

بمنتهى القوة ..

ومنتهى الحزم ..

وعبر جهاز الاتصال الداخلي في سفينة الغزاة ،
ارتفع صوت أرض حزم صارم ، يقول :

- هذه الرسالة يتم بثها على كل الموجات الطويلة
والمتوسطة والقصيرة ، وعبر شبكات (الميكروويف) ،
والليزر ، وموجات ألفا وبيتا .. هنا الأسطول الفضائي
لكوكب الأرض .. نطلبكم بالاستسلام فوراً ، دون قيد
أو شرط ، وإلا سحقناكم سحقاً .. أكرر .. استسلام
دون قيد أو شرط .

كانت مقاتلات الغزاة تتساقط بسرعة ، و (سلوى)
تهتف في سعادة :

- رباه ! كيف فعلوها ؟ كيف جاءوا إلى هنا ؟

أجابها (نور) في حزم :

- لقد فهموا الرسالة أخيراً .

سانه (أكرم) مبهوراً :

- الرسالة التي حملتها الكرة إليهم ؟

هز (نور) رأسه نفياً ، وأجاب :

- بل الرسالة الأكثر أهمية يا صديقي .

واتفقد حاجباه ، وصوته يكتسب رنة صارمة
حازمة ، مستطرداً :

- إن الاتحاد قوة -

نطقها وهو يراقب ذلك الاشتباك العنيف ، بين
المقاتلات الفضائية الأرضية ومقاتلات الغزاة ..
الاشتباك الذي أوحى بأن الغمة قد الزاحت بالفعل ..
وإلى الأبد ..

* * *

« العجيب أننا لم نعتبر على أننا أثر لذلك المخلوق ،
الذي التقىتم به يا (نور) !! » ..
نطق الدكتور (جلال) العبارة في حيرة ، وهو
يتحدث إلى (نور) ، الذي أحاط نراعه المصيبة
بالضمادات ، متسائلاً :

- هل قمتم بتفتيش السفينة جيداً يا سيدي ؟
أجابه القائد الأعلى :

- كل شبر منها يا (نور) ، بعد أن استولت عليها
قواتنا المشتركة ، وسيطرت على الموقف تماماً ..
لقد اختفى ، دون أن يترك خلفه أدنى أثر .
وأشار الدكتور (جلال) بيده ، قائلاً :
- ربما أثر الانتحار ، أو ألفى نفسه بوسيلة ما .
غمغم (نور) :

- أو التقل إلى بعد آخر -

هز الدكتور (جلال) كتفيه ، قائلاً :

- كل شيء جائز أيها المقدم .
ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة مبسرة ، وهو
يربّت على كتف (نور) ، قائلاً في ارتياح واضح :
- وصدقني .. إنني أسعد أهل الأرض بعودتكم
إلينا .. حمداً لله على سلامتكم أجمعين -

تنهد (نور) ، مغمضاً :

- أشكرك يا سيدي -

ثم سأله في اهتمام :

- ولكن ماذا عن طريق النجوم ؟

أجابه القائد الأعلى في حزم :

- الدول كلها وافقت على إغلاقه إلى الأبد .. قد
يعنى هذا أننا لن نفقد منه ، ولكنه أيضاً لن يحمل إلينا
خطراً جديداً ، من أطراف الكون مرة أخرى .

والتقط نفساً عميقاً ، قبل أن يضيف :

- لقد كُتبت لنا النجاة هذه المرة ، ولكن الله
(سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ماذا يمكن أن يحدث
في المرة القادمة !

وظلت تلك العبارة تتردد في رأس (نور) طويلاً ..
من يدري ، ماذا يمكن أن يحدث في المرة القادمة ؟
من يدري ؟
« أين ذهبت ؟ » ..

تسلل صوت (ملوى) إلى أذنيه في حنان ، وهو
يجلس شاردًا في شرفة منزله ، العطشة على
الحديقة ، فالتفت إليها ، متسائلًا :
- كيف حال (أكرم) الآن ؟
جلست على المقعد المجاور له ، مجيبة :
- سيتعافى قريبًا بإذن الله .

وملأت عينها بمشهد الحديقة والشمس الساطعة ،
قبل أن تضيف :
- هل تعلم ؟ ذات لحظة تصوّرت أننا لن نرى هذا
المشهد ثانية قط !
غمغم شاردًا :

- الله (سبحانه وتعالى) لم يكتب لنا الموت بعد ..
هزت كتفها ، قائلة بإبتسامة هادئة :
- في المرة القادمة ، أعتقد أنني ..
قاطعتها في حزم :

- لن تكون هناك مرات قادمة بالنسبة لك ، قبل
فترة طويلة .. الطبيب يقول : إن حملك يحتاج إلى
الراحة وتقادى الانفعالات ، في الفترة المتبقية .
غمغت معترضة :

- ما زال أمامي الكثير .
بدا شاردًا مرة أخرى ، وهو يقول :
- إنها أوامر الطبيب .
تطلعت إليه بضع لحظات في إشفاق ، ثم لم تلبث
أن مالّت نحوه ، متسائلة :
- فيم تفكر يا (نور) ؟

انطلقت من أعماق أعناق صدره زفرة ، حملت
ما يعتنقه ، قبل أن يرفع عينيه إلى السماء ، مجيبًا :
- أفكر في أننا قد نجحنا في إنقاذ عالمنا ، بفضل
شبهوى المعكوس ، الذي فشل في هذا تمامًا .
ربّنت على كتفه ، قائلة في تعاطف :
- إنه قدره وقدرنا .

والفحها بإيماءة من رأسه ، قائلاً :
- من يدري ؟ ربما وجد خيرًا لنا يومًا وسيلة
للانتقال إلى الزمن الماضي في عالمه .. وربما كانت
لدينا عندئذ الفرصة لإنقاذهم ، بعد كل ما عظماء ..

وهز رأسه في قوة . قبل أن يعاود التطلع إلى
السماء ، مكرراً :

- ربما .

شعرت بقلبها يخلق من أجله ، فتمسكت يدها
تحتضن يده في حنان ، ورفعت عينها مثله إلى
السماء ، وهي تهتف في أعماقها ..
نعم .. من يثرى !؟

ربما .

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

رسم الإبداع : ٣٢١٥

المطبعة العربية الحديثة

٨٠ ، شارع ١٧ ، المنطقة الصناعية بالعجينة

(القاهرة) - ٢٢ ٢٨٢٧٩١ - ٢٨٣٥٥٥



د. نبيل فاروق

**ملف
المستقبل
ملحة
روايات
بوليسية
للشباب
من الخيال
العلمي
128**

التميز في مستحضر ٢٠٠٠
ومنها دولة بالتدوير الأسري
في ملحة الدول العصرية والعالم



الزمن الآخر

- كسيف يمكن أن تواجه الأرض
احتمالات غزو فضائي جديد ١٤
- ما ذلك السر الغامض الرهيب الذي
يخفيه غزاة الفضاء الأليين ١٤
- قرى من يتتصرف في هذه المعركة
الفاصلة .. (نور) وطريقته .. (أم غزاة
(الزمن الآخر) ١٤
- اقرا التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع
(نور) وطريقته .. من أجل الأرض ..



العدد القادم : وراء العقل